الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١١٧ — ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥ — السنة الثالثة

3 me Année, No. 117.
Lundi-30-9-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ رجب سنة ١٣٥٤ — ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

عبرة الحادثات

للدكتور عبد الوهاب عزام

المدنية الأوربية ، على خيراتها وما أجدت على الناس من علمها ورفاهيتها ، مدنية مادية دعائمها المعادن والأحجار ، يصاغ قلبها من الذهب والحديد وأشباههما ، ويغذى بالفحم والنفط وأخواتهما ، وتدور بها دواليب المصانع والمغازل والمناسج . قد استحكمت فيها الآلات ، وأتقنت الصناعات حتى أغنت عن الانسان أدواتها ، ونافسه عتادها ، فثارت العداوة بين الآلات وصانعيها وعمالها ومالكيها . وقد أوحى ذلك إلى بعض الأمريكيين فاخترعوا إنساناً آليا يخدم خدمة الإنسان ويتحرك حركاته ، وهل الانسان فى المصانع إلا آلة سريعة العطب ؟

طبع إنسان هذا العصر آلياً دائراً لا يألف الاستقرار ولا يعرف السلام ، ولا تتمكن فى قلبه المحبة ، ولا تستقر فى سريرته الشفقة . واستكلبت هذه الآلات على غذائها ، وتنافست فى أقواتها ، وأحس كل أنها القوة لا العدل ، والغلبة لا الانصاف ، فنفخوا فى الأمم روح العصبية ، وغرور المنجهية ، وزعم كل قبيل أن أوّله

خير الأولين ، وأنه سيد الحاضرين ، وأن بنيه سادة الآتين ، وأن الأرض كلها له ، وأن الويل لمن جادله . ثم ما شئت من أناشيد مثيرة ، وتربيــة هائجة ، وإيقاظ الوحشية فى النفوس ، وإشعال البغضاء فى الأفئدة ، حتى صار الناس على رغم العلم والفلسفة وعلى ما قرّبت بينهم الوسائل الحديثة أميل إلى الحرب والجلاد ، وأحب للتخريب والتدمير من أناسىّ القرون الخاليـة ؛ فبينا تراهم فى ظاهر من السلام والوئام ، يتغنّون بحضارتهم ، ويعكفون على دراستهم ، ويتكلمون فى العدل والحرية والاخوة ، إذ تحكهم التجارب قدح الزناد ، فاذا النار تحت الرماد ؛ تغلب عليهم الطباع الحربية ، وتسيطر عليهم الحياة الآلية ، فاذا الأمم كلها جنود ومصانع للسلاح والمدمرات ، وإذا الأوربى كالذئب الذى لبس جلد الشاة ثم خلعه

ومهما يكن حظ القوم من العدل والنصفة ، ونصيبهم من المودة والألفة ، فذلك فيما يشجر بينهم من خلاف . فأما أهل الشرق سكان آسيا وأفريقية من الأمم الملونة فليس لهم فى العدل حماية ، ولا فى القانون نصفة ، « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميّين سبيل » . وما يزال صدى الأحداث يدوّى فى آذاننا ، وحسبك حروب طرابلس والبلقان والريف . فان ساغ لأوربى أن يطمئن إلى عدل أوربا وانصافها ، وقوانينها وجماعة أممها ، فليس للشرقى أن يسكن إلى ذلك ، فهو مال مباح ودم مهدور

***

وتلك أمة ينفخ قادتها فيها الغرور والعُجب ، ويذكرونها مجد الرومان وغابر الزمان ، حتى انتفخت أوداجها وورمت أنوفها . ثم صاحوا فيهـا قد بطشنا بطرابلس عشرين عاماً حتى دوخناها ، وذللنا دانيها وقاصيها ، ولكنها لا تفى بحاجتنا ولا تسد مطامعنا . ونظروا فاذا فى أفريقية دولة واحدة مستقلة حفظ عليها استقلالها من دون أمم أفريقية أنها دولة نصرانية لم يستبح المغيرون أن يجعلوها كالمسلمين ، ولكنها على نصرانيتها أمة سوداء ضعيفة تسكن أرضاً واسعة ، صاح زعيمهم هلمّ إلى الحبشة ! فانبرت العقول تخترع الأوهام والتعلات ، والألسن تفترى الكذب ، والأقلام تخط الأباطيل . وطفقوا يعيدون قصة الذئب والحمل حيناً ، ويصرحون بمكنون ضمائرهم حيناً . وسار الشر إلى الحبشة فى جيوشه ومفترياته

ويشفق بعض الدول من هــذه الغارات ويخاف عقباها فيستغيث الحق والعدل ، وحماية الضعيف ، والاقتصاص من القوى . وتتوالى نُذُر الحرب ، وتطيف بمصر مقدماتها ، وتقف مصر بين دولة محتلة ، وأخرى مجاورة ، تشقها الطريق بين الحبشة وإيطاليا . تهيب مصر بجيشها فاذا جيش ضئيل ، وسلاح كليل ! وتدعو بينها فاذا نفوس أبيّة ، وسواعد قوية ، ولكنها لم تدرّب للقتال ، ولم تُعدّ للنضال ، ولم تشهد الزحوف ، ولم تعتد التعرض للحتوف ، ولم تحمل السلاح ، ولم تمرس بآلات الكفاح ؛ أنفس عزيزة وأمة ذليلة ! ويقول مَن أبى على الأمة أن تأخذ للأيام أهبتها ، وتُعد للخطوب عدتها : لا تُراعوا ، هأنذا أدفع عنكم ! فاشكرونى ولا تكفرونى . ولو ترك لنا من قبل أن نعبئ جيوشنا ونعد سلاحنا لكان شكرنا أعظم وأجدى ، وكنا فى أنفسنا أعز وأقوى ، وأنَّى يُعز من يدفع عنه فى عقر داره ، ولا يعوّل عليه فى حماية نفسه :

وَدرى من أعزّه الدفع عنه فيهما أنه العزيز الذليل

هذا موقف الذلة والمهانة ، والضعة والاستكانة ، موقف من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا يجلب لها خيراً ولا شراً — رب عيش أخف منه الحمام !

ذلكم درس للحادثات مبين ، وعظة للخطوب بليغة ، فعلى المصريين راعيهم ورعيتهم ، ودهمائهم وقادتهم ، أن يفهموا الدرس ويعوه ، ويتدبروا الموعظة وينتفعوا بها . ومهما تنجل عنه السحب المكفهرة ، وتتكشف عنه الحادثات المنذرة ، فليعملوا برأى واحد ويد واحدة ، ويتوسلوا بالعزم والحكمة حتى لا يقفهم الزمان هذا الموقف مرة أخرى ، « إن فى ذلك لذكرى »

عبد الوهاب عزام

نظرة في النجوم

للأستاذ أحمد أمين

مما أرثى له أن أرى الشرقيين وخاصة سكان المدن لا ينتفعون بسُطُوح منازلهم الانتفاع الواجب ، فهم قلما يصعدون اليها إلا عند تركيب قوائم الراديو أو حبال الغسيل أو تخزين ما يستغني عنه في حجر السطح ، وهم يحبون أن يلتصقوا بالأرض ولا يحلقوا في السماء ، وينزلوا بحضيض المنازل ولا يسموا الى أوجها

وفاتهم أن من خير متع الحياة « سطوح المنازل » لا سيما في جو بديع كجونا ، تصفو فيه السماء في أكثر أشهر السنة ، ويهبُّ فيه النسيم العليل ليلا ، ويمتد فيه البصر ، وتنشرح فيه النفس ، ولياليه بين ليال مقمرة بديعة لا تمل العين جمالها ، وليال غاب فيها القمر فقامت النجوم مقامه تناغيك وتحدثك وتملأ قلبك روعة ونفسك حياة

تبا للأعين التي تنظر دائماً الى تحت ، ولا تنظر الى فوق ، والى الأسفل لا الى الأعلى ، ويلذ لها أن تنظر الى المسافات القريبة والى ما تلمس ، ولا تنظر الى البعد السحيق والمنظر البعيد . إن العين إذا اعتادت ذلك قلدتها النفس فلم تنظر الى الأمل البعيد ولم تلتذ بالطموح ، ولم تسعد بالأمل ، وقنعت بما هي فيه ورضيت بالدون وتشاغلت به ، وصدها ذلك عن أن تنشد الكمال ، للارتباط الشديد بين عالم الحس وعالم العقل وعالم الروح

ولقد كان آباؤنا الأولون أكثر منا عناية بالسماء ، حتى العرب في بداوتهم أطالوا النظر في النجوم وانتفعوا بجوهم المفتوح ، وسمائهم الصافية ، فعرفوا كثيراً منها ، ووضعوا لها أسماءها ، وكان لهم فيها ملاحظات دقيقة ، وأشعار رقيقة ؛ أما نحن فقل أن نعرف من أسماء النجوم إلا الشمس والقمر ، وجهلنا بأسماء مشاهيرها جهل فاضح لا يتفق وسماءنا البديعة . وأما شعراؤنا — سامحهم الله — فأكثرهم لا يشعر في السماء والنجوم إلا تقليدا ، وقد يبرح به ألم الهجر في غرفته المسقوفة وقد أغلقت شبابيكها واسدلت ستائرها ومع ذلك يشكو النجوم وثباتها وهو لا يرى سماء ولا نجوما

لو كان في أوروبا جو مكشوف دافىء كجونا ، لعرفوا كيف ينتفعون بالسماء كما انتفعوا بالأرض ، ولاتخذوا من سطوح منازلهم مقاماً للسمر الحلو والتأمل اللذيذ ، ولاتخذوا منها منتديات ومقاه ومسارح للسينما والتمثيل وأماكن للمحاضرات فانتفعوا بجمال الجو وجمال منظر السماء وجمال منظر السينما والتمثيل وجمال الحديث معاً ، ولو فعلنا لارتحنا من عناء المتسولين والمتجولين وماسحي الأحذية إلا أن يصعدوا الينا في السماء

* * *

نمت هذا الشهر بسطح منزلنا ، وأكثرت من التحدث إلى النجوم ، والاصغاء إلى حديثها ، وملت إلى قراءة شيء من أخبارها ، فملأت قلبي حياة ، وعقلي هدوءا ، وأعصابي راحة

وكنت كلما شكوت من شيء بثثت شكواي إلى النجوم فتبخرتْ ، وكلما تدنست في جو الأرض تطهرت في جو السماء ، فان آلمتني السياسة بألاعيبها وخداعها ، والأولاد بمضايقاتهم ومتاعبهم ، والخدم برذائلهم ، والبيئة بعشاكلها وصغائرها ، علوت إلى السطح وانسطحت على سجادة ، ووصلت أسباب ما بيني وبين النجوم فزال كل ألم ، واحتقرت كل ما ضايقني ، وعشت في عالم جديد لذيذ مريح ، ورأيت أني غسلت نفسي كما يغسل الثوب في البحر الواسع

عظيمة هذه النجوم وجميلة وجليلة ! فان رأيت نجوم المجرة وعلمت أنها تبلغ عدتها الملايين ، وأنها تسير بسرعة هائلة ، وأن بعض النجوم يقطع نحو ٣٤٠ كيلو مترا في الثانية ، وبعضها يقطع نحو ٤١٠ كيلو في الثانية ، وأن بعضها بلغ من البعد عنا ما لا يصل الينا ضوؤه إلا في آلاف السنين ، أيقنت بهذه العظمة ؛ وشعرت في أعماق نفسك بحقارتك وحقارة مشاغلك وحقارة أرضك كلها — وإن علمت أن في السماء آلافاً من الشموس تكوّن كل شمس منها مجموعة من النجوم كمجموعتنا الشمسية ، سبحت في عالم من العظمة لا حد له ، وتساءلت في كثير من الحيرة والاعجاب إلى أي طريق هي مسوقة ، وإلى أي طريق نحن مسوقون معها ؟ وقلت كما قال أبو الشبل البغدادي :

بربك أيها الفلك المدارُ	أقصدٌ ذا المسيرُ أم اضطرار
مدارُك قل لنا في أي شيء	ففي أفهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء	سوى هذا الفضاء به تدار ؟

ثم رددت الطرفَ خاسئاً وهو حسير ؛ ولكنها حسرة لذيذة لا أرضى بها بديلاً

أيتها النجوم . كم من الناس نظروا إليك فأعجبوا بعظمتك وجمالك وجلالك ، وكم من الشعراء تغنوا بك ، وتفننوا في الاشادة بذكرك ، وعابوا عليك سرعتك أيام الوصال ، وبطئك أو وقوفك أيام الهجران

وكم حارت فيك العقول فظنوك آلهة وعبدوك من دون الله ، وأقاموا لك الهياكل والتماثيل ، ثم تقدموا قليلاً فأنزلوك من مقام الألوهية قليلاً ، وجعلوا لك أثراً كبيراً في أحداث الأرض ، فلك أثر في الرياح والأمطار والسعادة والشقاء ، وربطوا مواليد الناس بك ، وجعلوا اسعادتهم وشقاءهم من أجلك ، وحتى الفلاسفة العظام أمثال أرسطو أعمتهم عظمتك عن أن يدركوا حقيقتك فأسندوا إليك عقولاً كباراً وجعلوا منزلتك في الفكر والعقل فوق منزلة الانسان ، وسبحوا في الخيال فأسسوا نظاماً وهمياً للأفلاك وتدرجها في الأثر حتى تصل إلى عالمنا — وخدع الناس بك فبنيت لك المراصد لمراقبة حركاتك ، وأقنع المنجمون الناس بتأثيرك فسمعوا لقولهم ، واتخذ الملوك المنجمين يعتمدون عليهم في تدبير مملكتهم ، كما يتخذون الأطباء لتدبير أجسامهم ، فلا يضعون بناء إلا بعد رصدهم لك واشارتهم بأنك ستمنحين السعادة لبنائهم ، ولا يحاربون إلا برأى رجالك وتخير أوقات رضائك

وكم شغل الناس بطوالعك ، وتخيروا أوقات زواجهم محسوبة بحسابك ، وتنبأوا — بمعونتك — بموت فلان وحياة فلان وأنت أنت فوق ذلك كله لا تعبئين به ولا تلتفتين إليه . كأن أمرهم لا يعنيك ، وشؤونهم لا تهمك ، وتتابعت الأجيال ومرت السنون ، وفنيت أقوام وجدت أقوام وكلهم يمنحونك اعجابهم وأنت في علاك وسيرك وسرعتك دائبة أبداً

وأتى العلم الحديث فغير فيك الأفكار ، وساواك بالأحجار ، وجعل قمرك الجميل كأرضنا غير الجميلة ، وسلب عنك العقل والفكر وأخضعك لنواميس الطبيعة وأبان خرافات الأقدمين فيك — ومع ذلك أقر بجلالك وأخذ بدقة نظامك ، وأقر بجهله أن يحيط بك ، وأن يتعرف كل قوانينك — فأنت أنت أيام الجهل وأيام العلم ، وأيامنا وأيام آبائنا

وبينا أنا في ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، إذ دعاني الخادم إلى التليفون فنزلت من السماء إلى الأرض

— آلو

— فلان — لعلك تذكرني

— أهلاً وسهلاً

— أريد أن أقابلك

— هل من شيء ؟

— لقد تخرجت من كلية الآداب واشتغلت في عمل لا يناسبني ، وماهية لا تليق بي ، واخواني كلهم خير مني ، فلي سنوات لم آخذ علاوة ولم أرق إلى درجة

— نعم

— والآن هناك حركة ترقية وأريد مساعدتك

ثم حوار طويل ، ورجاء مستمر ، وشكوى بؤس ، وعائلة يعولها ، وماهية لا تكفيها ، ودنيا ضاقت به وبها

* * *

في أي تفكير كنت ، وإلى أين صرت ، هذه السماء وهذه الأرض ، أين هذا العالم العظيم السعيد الذي كنت أحلم به من هذا العالم الحقير التافه الذي نقلني اليه التليفون والذي يمضي فيه أكثر الناس أكثر أعمارهم ، لقد غطسني بحديثه في ماء مثلج ، فلأصعد ثانية إلى السماء ولأعاود ما كنت فيه . . . لا — لم تعد للفكر لذته ولا لحديث النجم متعته

* * *

لقد قلب علم الفلك عقلية الانسان رأساً على عقب ، فقد كان يظن أنه سيد العالم ، وأن أرضه هذه هي مركز العالم ، وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حولها فأبان له العلم أن أرضه ليست إلا هنَةً تسبح في الفضاء ، وأنها شيء تافه في المجموعة الشمسية التي تدور حول الشمس ، وأن كل العالم من أرض ونجوم خاضعة لقوانين واحدة كقوانين الجذب وما إليها ، وأنه إن كانت أرضه هنة فكيف به هو — كل هذا غيَّر عقلية الانسان وأنزله من شامخه وسلبه غروره فأخذ يفكر تفكيراً جديداً وينظر لنفسه وللعلم نظراً جديداً ويربط نفسه بالعالم ، ويرى أنه هو والعالم وحدة ، وأن هذه الوحدة تخضع لقوانين ثابتة استكشف أقلها وغاب عنه أكثرها ، ما استكشف منها يدل على عظمة باقيها وعمومها وسيطرتها — ولكن شيئاً واحداً لم يتغير في الانسان وهو ارتباط عواطفه بالنجوم ، وأنها تجد السبيل دائماً لقلبه ، وتوحي إليه بعظمة ربها وربه

أحمد أمين

٢ - الجمـــال البائس

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جاءت أحلى من الأمل المعترض سنحت به فرصة؛ وعلى أنها لم تخط الينا إلا خطوة وتمامها، فقد كانت تجد في نفسها ما تجده لو أنها سافرت من أرض إلى أرض، ونقلها البعد النازح من أمة إلى أمة

يا عجباً! إن جلوس انسان إلى انسان بازائه قد يكون أحياناً سفراً طويلاً في عالم النفس؛ فهذه الحسناء تعيش في دنيا فارغة من خلال كثيرة، كالتقوى، والحياء، والكرامة، وسمو الروح، وغيرها؛ فاذا عرض لها من يشعرها بعض هذه الخلال، وينتزعها من دنيا اضطرارها وأخلاق عيشها ولو ساعة — فما تكون قد وجدت شخصاً بل كشفت عالماً تدخله بنفس غير النفس التي تدبرها في عالم رزقها . . .

ولا أعجب من سحر الحب في هذا المعنى؛ فان العاشق يكون حبيبه إلى جانبه، ثم لا يحس إلا أنه طوى الأرض والسموات ودخل جنة الخلد في قبلة . . .

***

جلست الينا كما تجلس المرأة الكريمة الخفرة، تعطيك وجهها وتبتعد عنك بسائرها، وتريك الغصن وتخبأ عنك أزهاره. فرأيناها لم تستقبل الرجل منا بالأنثى منها كما اعتادت؛ بل استقبلت واجباً برعاية، وتلطفاً بحنان، وأدباً من فن بأدب من فن آخر؛ وكان هذا عجيباً منها، فكلمها في ذلك الأستاذ (ح) فقالت: أما واحدة فاننا نتبع دائماً محبة من مجالسهم وهذه هي القاعدة. وأما الثانية فاننا لا نجد الرجل إلا في الندرة؛ وإنما نحن مع هؤلاء الذين يتسومون بسيما الرجال — كحيلة المحتال على غفلة المغفل، وهم معنا كالقدرة بالثمن على ما يشتريه الثمن؛ ليسوا علينا إلا قهراً من القهر؛ ولسنا عليهم إلا سلباً من السلب، مادة مع مادة، وشر على شر؛ أما الانسانية منا ومنهم فقد ذهبت أو هي ذاهبة

قال (خ): ولـكن . . .

فلم تدعه يستدرك، بل قالت: إن «لكن» هذه غائبة الآن . . . فلا تجيء في كلامنا. أتريد دليلا على هذا الانقلاب؟ إن كل إنسان يعلم أن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين؛ ولـكن كل امرأة منا تعلم أن الخط المعوج هو وحده أقرب مسافة بينها وبين الرجل . . .

قالت: فاذا وجدت إحدانا رجلاً بأخلاقه لا بأخلاقها . . . ردتها أخلاقه إلى المرأة التي كانت فيها من قبل، وزادتها طبيعتها الزهو بهذا الرجل، فتكون معه في حالة كحالة أكمل امرأة؛ بيد أنه كال الحلم الذي يستيقظ وشيكا، فان الرجل الكامل يكمل بأشياء، منها وا أسفاه! منها ابتعاده عنا.

ثم قالت: وصاحبك هذا منذ رأيته، رأيته كالكتاب يشغل قارئه عن معاني نفسه بمعانيه هو . . . .

***

وضحكت أنا لهذا التشبيه، فمتى كان الكتاب عند هذه كتاباً يشغل بمعانيه؟ غير أني رأيتها قد تكلمت واحتفلت، وأحسنت وأصابت، فتركتها تتحدث مع الأستاذ (ح) وغبت عنهما غيبة فكر؛ وأنا إذا فكرت انطبق علي قولهم: خل رجلاً وشأنه، فلا يتصل بي شيء مما حولي. وكان كلامها يسطع لي كالمصباح الكهربائي المتوقد، فقدمها فكرها الي غير ما قدمت الي نفسها، ورأيت لها صورتين في وقت معاً، إحداهما تعتذر من الأخرى . . . . .

وكنت قبل ذلك بساعة قد كتبت في تذكرة خواطري هذه الكلمة التي استوحيتها منها: لأضمها في مقالة عنها وعن أمثالها وهي هذه الكلمة:

إذا خرجت المرأة من حدود الأسرة وشريعتها، فهل بقي منها إلا الأنثى مجردة تجريدها الحيواني المتكشف المتعرض للقوة التي تناله أو ترغب فيه؟ وهل تعمل هذه المرأة إلا أعمال هذه الأنثى؟

وما الذي استرعاها الاجتماع حينئذ فترعاه منه وتحفظه له، إلا ما استرعى أهل المال أهل السرقة؟ إن الليل ينطوي على آفتين: أولئك اللصوص، وهؤلاء النساء

وكيف ترى هـذه المرأة نفسها إلا مشوهة ما دامت

رذائلها دائماً وراء عينيها ، وما دام بإزاء عينيها دائماً الأمهاتُ والمحصَناتُ من النساء ، وليس شأنُها من شأنهن ؟ إن خيالها يحرزُ في وعيه صورتَها الماضيةَ من قبل أن تزِلّ ؛ فإذا خلت إلى نفسها كانت فيها اثنتان إحداهما تلعنُ الأخرى ، فترى نفسها من ذلك على ما ترى

وهي حين تُطالعُ مرآتَها لِتتبرّجَ وتحتفلَ في زينتها ، تنظرُ إلى خيالها في المرآة بأهواء الرجال لا بعينيْ نفسها ، ولهذا تُبالغُ أشدَّ المبالغة ؛ فلا تُمنّي بأن تظهرَ جميلةً كالمرأة ، بل مُشمِرةً كالتاجر ... وتكسُّبُها بجمالها يكون أولَ ما تفكر فيه ، ومن ذلك لا يكون سرورُها بهذا الجمال إلاّ على قدر ما تكسب منه ؛ بخلاف الطبع الذي في المرأة ، فإن سرورها بمسحةِ الجمال عليها هو أولُ فكرها وآخرُه.

إن الساقطة لا تنظر في المرآة — أكثر ما تنظر — إلا ابتغاءَ أن تتعهّدَ من جمالها ومن جسمها مواقعَ نظرات الفجور وأسبابَ الفتنة ، وما يَستهوي الرجلَ وما يُفسد العفّةَ عليه ، فكأن الساقطةَ وخيالها في المرآة رجلٌ فاسقٌ ينظر إلى امرأة لا امرأةٌ تنظر إلى نفسها ...

* * *

ذهبت أفكر في هذه الكلمة التي كتبتها قبل ساعة ، ولم أستطع أن ألبسَ في هذه القضية وجهَ القاضي ؛ فدخلتني رقةٌ شديدةٌ لهذا الجمال الفاتن الذي أراه يبتسم ، وحوله الأقدارُ العابسة ، ويلهو ، وبين يديه أيامُ الدموع ، ويجتهد في اجتذاب الرجال إليه ، والوقتُ آتٍ بالرجال الذين سيجتهدون في طرده عن أنفسهم

وتغشّاني الحزنُ ورأت هي ذلك وعرفته ؛ فأخرجت منديلها المعطّر ومسحت وجهها به ، ثم هزّته في الهواء فإذا الهواءُ منديلٌ معطرٌ آخر مسحتْ به وجهي ...

وقال الأستاذ (ح) : آه من العطر ! إن منه نوعاً لا أستنشيه مرة إلا ردّني إلى حيث كنت من عشرين سنةً خلَتْ ، كأنما هو مُسجّل بزمانه ومكانه في دماغي ...

فضحكت هي وقالت : إن عطرنا نحن النساءَ ليس عطرا ، بل هو شعورٌ نثبته في شعور آخر

فقلت أنا : لا ريب أن لهذه الحقيقة الجميلة وجهاً غير هذا ؛

قالت : وما هو ؟

قلت : إن المرأة المعطّرة المتزينة هي امرأة مُسلّحة بأسلحتها ، أفي ذلك ريب ؟

قالت : لا

قلت : فلماذا لا يُسمى هـــذا العطرُ بالغازات الخانقة الغرامية . . . ؟

فضحكت فُنوناً ؛ ثم قالت : وتسمى (البودرة) بالديناميت الغرامي . .

ونقلني ذلك إلى نفسي مرة أخرى ، فأطرقتُ إطراقة ؛ فقالت مابك ؟

قلت : بي كلمةُ الأستاذ (ح) ، إنها ألهبَتْ في قلبي جمرةً كانت خامدة

قالت : أو حركت نقطة عطر كانت ساكنة . . .

فقلت : إن الحبَّ يضع روحانيتَه في كل أشيائه ، وهو يغير الحالةَ النفسيةَ للانسان فتتغيرُ بذلك الحالةُ العقليةُ للأشياء في وهم المحب . (فعطرُ كذا) مثلاً . . . . هو نوعٌ شذِيٌّ من العِطر ، طيِّبُ الشميم ، عاصفُ النَّشوة ، حادُّ الرائحة ، لكأنه ينشرُ في الجو روضةً قد مُلئتْ بأزهاره تُشمُّ ولا تُرى ؟ وإنه ليجعلُ الزمنَ نفسه عبقاً بريحه وانه ليُفعِمُ كلَّ ما حوله طيباً وانه ليسحرُ النفسَ فيتحوّل فيها . . .

وهنا ضحكتْ وقطعت عليَّ الكلامَ قائلة : يظهر لي أن (عطر كذا) هاجرٌ أو مخاصم . . .

قلت : كلا ، بل خرج من الدنيا وما انتشقتُ أَرَجَهُ مرة إلا حسبتُه ينفَح من الجنة

فما أسرعَ ما تلاشى من وجهها الضحكُ وهيئتُه ، وجاءت دمعةٌ وهيئتها . ولمحت في وجهها معنى بكيتُ له بكاء قلبي

جمالها ، فتنتها ، سحرها ، حديثها ، لهوها ؛ آه حين لا يبقى لهذا كله عينٌ ولا أثر ، آه حين لا يبقى من هذا كله إلا ذنوبٌ ، وذنوبٌ ، وذنوب

* * *

وأردنا أنا و (ح) بكلامنا عن الحب وما إليه ألا نوحشها

من انسانيتنا ، وأن نَبُلّ شوقها إلى ماحُرمتْه من قدرها قدرَ إنسانة فيما نتَعاطاه بيننا . والمرأةُ من هذا النوع إذا طمعت فيما هو أغلى عندها من الذهب والجوهر والمتاع — طمعت فى الاحترام من رجل شريف متعفّف ، ولو احترامَ نظرةٍ ، أو كلمة . تقنعُ بأقل ذلك وترضى به ، فالقليلُ مما لا يدرك قليله هو عند النفس أكثرُ من الكثير الذى ينالُ كثيرُه

ومثل هذه المرأة ، لا تدرى أنت أطافتْ بالذّنب أم طاف الذنبُ بها ؟ فاحترامها عندنا ليس احتراماً بمعناه ، وإنما هو كالوجوم أمام المصيبة فى لحظة من لحظَات رهبـــة القدَر وخشوع الايمان

وليست امرأةٌ من هؤلاء إلا وفى نفسها التندُّمُ والحسرةُ واللهفة مما هى فيه ، وهذا هو جانبُهن الانسانىُّ الذى يُنظرُ اليه من النفس الرقيقة بلهفة أخرى ، وحسرة أخرى ، وندم آخر . كم يرحمُ الانسانُ تلك الزوجةَ الكارهةَ المرغمةَ على أن تعاشرَ من تكرهه فلا يزال يغلى دمُها بوساوس وآلامٍ من البغض لا تنقطع ! وكم يرثى الانسانُ للزوجة الغيور ، يغلى دمُها أيضاً ولكن بوساوس وآلام من الحب ! ألا فاعلم أن كل امرأة من مثل هـذه الحسناء تحمل على قلبها مثل همّ مائة زوجةٍ كارهةٍ مرغمةٍ مستعبدة ، يخالطُه مثلُ همّ مائة زوجة غيور مكابدةٍ منافسةً ، ولقد تكون المرأةُ منهن فى العشرين من سنها وهى مما يكابدُ قلبها فى السبعين من عمر قلبها

وهذه التى جاءتنا إنما جاءتنا فى ساعة منا نحن لا منها هى ، ولم تكن معنا لا فى زمانها ولا فى مكانها ولا فى أسبابها ، وقد فتحت البابَ الذى كان مغلقاً فى قلبها على الخفر والحياء ، وحوّلت جمالها من جمالِ طابعهُ الرذيلةُ إلى جمال طابعُه الفن ، وأشعرت أفراحَها التى اعتادتْها روحَ الحزن من أجلنا فأدخلت بذلك على أحزانها التى اعتادتْها روح الفرح بنا

من ذا الذى يعرف أن أدبه يكون إحساناً على نفسٍ مثل هذه ثم لا يُحسن به ؟ (١)

* * *

تتجددُ الحياةُ متى وجد المرءُ حالةً نفسيةً تكون جديدةً فى سرورها . وهذه المرأةُ المسكينةُ التى لا يعنيها من الرجل مَن هو ؟ ولكن كم هو ...؟ لم ترَ فينا نحن الرّجلَ الذى هو « كم » بل الذى هو « من » . وقد كانت من نفسها الأولى على بُعدٍ قصيّ كالذى يمدّ يده فى بئر عميقة ليتناولَ شيئاً قد سقط منه ؛ فلما جلست الينا اتصلت بتلك النفس من قُرب ، إذ وجدت فى زمنها الساعةَ التى تصلح جسراً على الزمن

قال الراوى : كذلك رأيتها جديدة بعد قليل ، فقلت للأستاذ (ح) : أما ترى ما أراه ؟

قال : وماذا ترى ؟ فأومأتُ إليها وقلت : هذه التى جاءت من هذه . إن قلبها ينشر الآن حولها نوراً كالمصباح إذا أُضيء ، وأراها كالزهرة التى تفتّحت ؛ هى هى التى كانت ، ولكنها بغير ما كانت

فقالت هى : إنى أحسبُك تحبنى ؛ بل أراك تحبنى ؛ بل أنت تحبنى . . . لم يخْفَ على هذا منذ رأيتك ورأيتنى

قلت : هبيهِ صحيحاً فكيف عرفتـهِ ولم أصانعكِ ، ولم أتملّق لك ، ولم أزد على أن أجىء الى هنا لأكتب ؟

قالت : عرفته من أنك لم تصانعنى ، ولم تتملق لى ، ولم تزد على أن تجىءَ الى هنا لتكتب . . .

قلت : ويحكِ لو كُحلَتْ عينُ (المكرسكوب) لكانت عينَك . وضحكنا جميعاً ؛ ثم أقبلتُ على الأستاذ (ح) فقلت له : إن القضايا إذا كثر ورودُها على القاضى جعلتْ له عيناً باحثة .

* * *

قال الراوى : وأنظرُ إليها فاذا وجهُها القمرىُّ الأزهرُ قد شرِقَ لونه وظهر فيه من الحياء ما يظهر مثلُه علىَ وجه العذراء المخدَّرة إذا أنت مسستَها بريبة ؛ فما شككتُ أنها الساعةَ امرأةٌ جديدة قد اصطلح وجهُها وحياؤُها ، وهما أبداً متعاديان فى كل امرأة مكشوفة العفة . . .

وذهبتُ أستدرِك وأتأوّل ، فقلت لها : ما ذلك أردتُ ، ولا حدَسْتُ على هذا الظن ، وإنما أنا مُشفِق عليك متألم بك ؛ وهل يَعرِضُ لك إلا الطبقة النظيفة . . . من المجرمين والخُبثاء وأهل الشرّ ؛ أولئك الذين أعاليهم فى دُور الخلاعة

(١) فى كتابنا (السحاب الأحمر) فصل طويل عنوانه (الربيطة) كتبناه فى مثل موضوع (الجمال البائس) غير أنه بمنحى آخر ومعان أخر . والربيطة هى الكلمة العربية التى تقابل كلمة Maitresse يريد بها الأوربيون المرأة التى ترتبط بأجر فى دار الرجل لتحل محل الزوجة . . .

والمسارح وأسافلُهم في دُور القضاء والسجون ؟

فقالت : اعترفْ بأنك لم تحسِنْ قلبَ الثوب فظهر لكل عين أنه مقلوب ؛ لكنك تحبني . . . . وهذا كافٍ أن ينهضَ منه عُذر

قال الأستاذ (ح) : إنه يحبك ، ولكن أتعرفين كيف حبُّه ؟ هذا بابٌ يضع عليه دائماً عِدةً من الأقفال

قالت : فما أيسرَ أن تجد المرأةُ عدةً من المفاتيح . . .

قال : ولكنه عاشقٌ يُنير العشقُ بين يديه ، فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس ، ما تطمعُ إلا أن تراه وما يطمعُ إلا أن يراها ، ولا شيء غير ذلك . ثم لا يزال حسنُها عليه ولا يزال هواه إليها ، وليس إلا هذا

قالت : إن هذا لعجيب

قال : والذي هو أعجب أنْ ليس في حبه شيء نهائي ، فلا هجرٌ ولا وصل ؛ ينساكِ بعد ساعة ولكنك أبداً باقيةٌ بكل جمالك في نفسه . والصغائرُ التي تُبكي الناسَ وتَتَلذَّعُ في قلوبهم كالنار ليجعلوها كبيرةً في همّهم ويطفئوها وينتهوا منها ككل شهوات الحب — تبكيه هو أيضاً وتتلذَّعُ في قلبه ، ولكنها تظلُّ عنده صغائرَ ولا يعرفها إلا صغائر ؛ وهذا هو تجبُّرُه على جبّار الحب

* * *

قال الراوي : ونظرتُ إليها ونظرتْ ، وعاتبتْ نفسٌ نفساً في أعينهما ، وسألت السائلةُ وأجابت المجيبة ، ولكن ماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

لإحياء الآداب العربية والتراث القومي

ومهمة دار الكتب المصرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يستطيع الذين درسوا الآداب التاريخية الغربية ، وقرأوا تواريخ الأمم الغربية في تلك الموسوعات والآثار الجليلة التي تمتاز بطابعها العلمي الدقيق ، أن يقولوا بحق إن تاريخ الاسلام والأمم الاسلامية لم يكتب حتى عصرنا

إن الآداب العربية تزخر بالموسوعات والآثار التاريخية في كل عصر ، وكل قطر ؛ ومنها بلا ريب آثار كثيرة تمتاز بدقتها ونفاستها ؛ ولكن هذه الآثار تقف أولاً منذ عصر بعيد ، فلا تكاد تجد في العربية موسوعة أو مؤلفاً تاريخياً جليلاً منذ القرن العاشر الهجري ، وهي من جهة أخرى لا يمكن أن تعتبر أكثر من مادة لتغذية المؤرخ الحديث بما يحتاج إليه من التفاصيل والوثائق ؛ ومن الانصاف أن نقول إن هذه المادة تمتاز بغزارتها في عصور كثيرة ، ولكن من الأسف أن أغلبها ما زال يحتجب عن أعيننا في أروقة المكاتب والمجموعات الخاصة ، فلا يصل إليها الباحث إلا بعد الجهد المضني

وهذه مسألة تستحق الاهتمام من كل أولئك الذين يتصلون بالمباحث الاسلامية والتاريخية ، وأولئك الذين يشرفون على توجيه الثقافة القومية ، وفي مقدمتهم وزارة المعارف العمومية والجامعة المصرية . فالى الآن لم يكتب تاريخ مصر الاسلامية ، ولا مصر الحديثة بما يجب من دقة وإفاضة ، وإلى الآن لم تعرف مصادر التاريخ المصري معرفة حسنة حتى من كثير من أولئك الذين يعنون بكتابته أو بتدريسه ؛ وإنه لما يبعث إلى الدهشة كما يبعث إلى الأسف أن نجد الكتب الدراسية التي يعتمد عليها الشباب في دراسة التاريخ المصري أو الاسلامي بوجه عام ، خلاصة مشوهة اشتق معظمها من المؤلفات الأجنبية ، وهي لذلك تفيض بالأخطاء والمثالب ، وينقصها روح الانصاف

والتمحيص ؛ هذا بينما تلق الكتب التى تعنى بتواريخ الأمم الأجنبية عناية أوفر لأنها تعتمد فى مادتها على المصادر القومية المنظمة ، ويجد فيها الشباب من التبسط والتمحيص مالا يجده فى كتب التاريخ المصرى أو الاسلامى

إن دار الكتب المصرية تزخر بمئات وألوف من مصادر التاريخ الاسلامى وتاريخ مصر الاسلامية بنوع خاص ، وبين هذه المصادر موسوعات جليلة فى مختلف العصور ، ومنها ما كتبته أقلام معاصرة قديرة ؛ وفيها من المواد والتفاصيل والوثائق ما يغتبط له الباحث ويحقق غايته . ولكن كم من هذه المصادر الجليلة أتيح له أن يرى الضياء حتى يومنا ؟ ومع ذلك فان هذه الآثار التى أخرجت حتى اليوم لم تلفت أنظار الباحثين والقراء لأنها لم تنل حقها من التعريف أولاً ، وثانياً لأن معظمها ما زال فريسة الناشرين المتجرين الجهلة ، يخرجونه فى أثواب عتيقة منفرة يقبل عليها الباحث مرغماً ويلقى فى مراجعتها من المشقة ما يلقاه فى مراجعة المخطوطات القديمة ذاتها

هذا وما زالت المراجع والموسوعات القديمة التى وضعت بين أيدى الباحثين والكتاب مستقى خصباً لنقل النصوص والروايات كما كتبت منذ مئات السنين ؛ وما زال معظم المؤلفات التاريخية المعاصرة يقوم على هذا النقل المجرد ؛ ومثل هذه المؤلفات لا قيمة له من الوجهة العلمية ، لأن عصر النقل المجرد انتهى منذ بعيد ، وأصبح التاريخ فى عصرنا علماً جليلاً يقوم على المباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند ، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ فمن المؤلم أن يرغم الشباب فى هذا العصر الذى يعتبر فيه التاريخ مرآة الحضارة ودعامة للعاطفة القومية ، على أن يقرأ التاريخ الاسلامى والتاريخ القومى فى هذه الكتب الممسوخة التى استخرجت دون بحث أو تمحيص من الروايات القديمة ، ولا فضل لمصنفيها – إن كان ثمة فضل – إلا فى الاختصار والتبويب والطبع الأنيق

***

وقد آن أن نتحرر من هذا الجمود الذى يشل ثقافتنا التاريخية ، ويحجب عنا تراث الماضى الزاخر ، وأن نستخرج من هذا التراث نفائسه ، ونقدمها لجيل العصر فى أثواب العصر وأساليبه . وأول ما يجب لتحقيق هذه الغاية فى رأينا هو أن يبذل جهد صادق للتعريف بهذا التراث وقيمته وأمكنة وجوده . وهذه مهمة تستطيع دار الكتب المصرية أن تؤدى فيها أعظم دور . ولقد عكفت منذ أعوام على دراسة هذا الجانب من تراثنا القومى ، فكتبت عدة دراسات ومباحث عن أقطاب الرواية المصرية مثل ابن عبد الحكم والكندى وابن زولاق والمسبحى والقضاعى والنويرى والعمرى والقلقشندى والمقريزى وابن تغرى بردى والسخاوى وابن اياس ، استعرضت فيها تراجمهم وجهودهم وآثارهم المنشورة والمخطوطة استعراضاً وافياً ، وعنيت فيها عناية خاصة بالتعريف بعشرات بل مئات من الآثار والمصادر الجليلة التى تتعلق بتاريخ مصر الاسلامية ، والتى ما زالت مخطوطة بعيدة عن التعريف والتداول تحجبها ظلمات النسيان فى أروقة دار الكتب . بيد أن مثل هذه المجهودات الفردية لا يمكن أن تحقق الغاية المنشودة . وعندنا أن دار الكتب المصرية يجب عليها أن تعنى بوضع فهرس خاص لمصادر التاريخ المصرى العربية المنشورة والمخطوطة بنوع خاص ، تتحرى فى وضعه أحدث الطرق العلمية وتصنف المصادر فيه حسب العصور ، وتوصف محتوياتها وصفاً علمياً دقيقاً ؛ ولا تقتصر فى ذلك على المصادر الموجودة ، بل تضمنه أيضاً ذكر المصادر والآثار المخطوطة المحفوظة فى مختلف المكاتب الأجنبية بالاعتماد على فهارس هذه المكاتب أو بارسال مندوب أو أكثر للخارج لدراستها وتدوين أوصافها وتصوير ما يجب تصويره منها . ثم يوضع إلى جانب هذا الفهرس العربى ، فهرس آخر يتضمن جميع المصادر والآثار الأجنبية المتعلقة بمصادر التاريخ المصرى فى جميع العصور ، وفى جميع اللغات الحية ، ويصنف تصنيفاً علمياً دقيقاً ؛ وتبذل دار الكتب جهدها لاستكمال ما ينقصها من هذه المؤلفات ، وبنشر الفهرسان ، ويصبح كل منهما مرجعاً نفيساً لمصادر التاريخ المصرى ووثائقه ؛ وبذلك تحظى آثارنا المحجوبة بشىء من التعريف ، ويسهل سبيل البحث على الباحثين ، ويفتتح عهد جديد لدراسة التاريخ المصرى وكتابته

ثم يجب إلى جانب ذلك أن تدرس جميع الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر وأنظمتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية مما تحتفظ به دار الكتب ذاتها ، أو الدفترخانة المصرية ، أو وزارة الأوقاف أو غيرها ؛ ومن المعروف أنه توجد لدينا طائفة كبيرة من هذه الوثائق ، ولا سيما مما يتعلق بالعصر التركى ، وفيها كثير مما يلقى

الضياء على طبيعة الأنظمة الادارية والاجتماعية والثقافية فى مصر فى هذا العصر . ومعظم هـذه الوثائق التى تحتفظ الدفترخانة المصرية بكثير منها محرر باللغـة التركية ، ويقتضى ترجمته أو تلخيصه . ونذكر أن الأنظار اتجهت منذ أعوام إلى هذه الوثائق ، وعرفت أهميتها وقيمتها التاريخية ، وقيل لنا إنه سيعنى بترجمتها وتنسيقها ، ولا نعلم ماذا تم بعد ذلك فى شأنها . بيد أنه لا ريب أن هـذه الوثائق المختلفة ، ومنها بوزارة الأوقاف حجج أوقاف قديمة ترجع إلى القرن التاسع الهجرى ؛ إذا نظمت ونخصت فى فهرس دقيق جامع ، تكون مرجعاً نفيساً لتاريخ مصر الادارى والاجتماعى والاقتصادى والقضائى فى هذه العصور

* * *

وتوجد ثمة فى هذا الميدان مهمة علمية أخرى تستطيع دار الكتب والجامعة المصرية والجامعة الأزهرية أن تضطلع بها ، هى نشر طائفة من الآثار والمصادر الاسلامية والمصرية الجليلة مما تغص به أروقة دار الكتب المصرية . ولقد أخرجت لنا مطبعة بولاق ثبتاً حافلاً من هذه الآثار الجامعة فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكانت مأثرة علمية جليلة لولاها لبقيت المكتبة العربية عاطلة حتى يومنا من أمهات المصادر والمراجع الكبرى ؛ وقد أرادت دار الكتب أن تستمر فى الاضطلاع بهذه المهمة ، وما زالت تعمل لاخراج بعض الموسوعات والآثار الجليلة ؛ وقد أخرجت بعض هذه الآثار ، ولاسيما موسوعة «صبح الأعشى» للقلقشندى ، ولكن عملها فى ذلك بطىء جداً ، ينقصه الطابع العلمى قبل كل شىء ؛ ومن الواجب أن تنظم هذه المهمة تنظيماً علمياً ، وأن تشرف على أدائها هيئة فنية قديرة ، ومن الواجب أن تضاعف الجهود لاخراج هذه الآثار والموسوعات فى فترات معقولة ، إذ ما زلنا نتلقى أجزاءها فى فترات متباعدة ، وقد يستغرق اخراج الجزء الواحد عامين أو ثلاثة . ثم إن الجامعة المصرية والجامعة الأزهرية تستطيع كلتاهما أن تقوم فى هذا السبيل بجهود قيم ؛ ولا نعلم أن إحدى الجامعتين قامت إلى اليوم باخراج شىء يذكر من الآثار الاسلامية المخطوطة ، هذا بينما نرى الجامعات والهيئات العلمية الأوربية والأمريكية تشرف باستمرار على إخراج كثير من هذه الآثار ؛ ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد أن كتاب « النجوم الزاهرة » لأبى المحاسن بن تغرى بردى الذى تقوم الآن باخراجه دار الكتب المصرية ، قد اشرفت على إخراجه منذ أكثر من عشرين عاماً جامعة كاليفورنيا الأمريكية ، وتولى نشره وتحقيقه المستشرق الأمريكى وليم بوبر ؛ وان الجزء الفاقد من تاريخ مصر لابن اياس الذى أخرجته مطبعة بولاق منذ أربعين عاماً ، تولى اخراجه الأستاذ باول كاله الألمانى باشراف جمعية المستشرقين الألمانية وهكذا . ومن واجب مصر ، باعتبارها زعيمة الثقافة العربيـة والاسلامية أن تأخذ بنصيبها من حركة أحياء الآثار الاسلامية على يد هيئاتها العلمية الكبرى ، وفى مقدمتها الجامعتان المصرية والأزهرية . ولا ريب أن اشراف الجامعتين الكبيرتين على هذه الحركة يسبغ عليها قسطاً من الطابع العلمى الذى ننشده لآثارنا وموسوعاتنا ؛ ذلك أن ما ينشر منها اليوم على أيدى الناشرين المتجرين يخرج فى صور يرثى لها من المسخ والتحريف ؛ وليس من المبالغة أن نطالب بهذه المناسبة إلى دار الكتب المصرية أن تسن من القواعد والقيود لاستنساخ المخطوطات ثم لنشرها ما يكفل اخراجها على أيدى ناشرين من الطراز الأول ، يقدرون قيمتها العلمية ويخرجونها فى أثواب محترمة ، ويعرضونها للبيع بأثمان لا تخرج عن حد الاعتدال

* * *

هذه خواطر واقتراحات نعتقد أنها تجول فى أذهان كثير ممن يعنون بالمباحث الاسلامية وحركة احياء الآداب العربية ، بل نعتقد أنها ليست بعيدة عن أذهان المشرفين على مصاير تعليمنا وثقافتنا . وإذا كنا نخص ثقافتنا التاريخية القومية واحياء تراثها ومراجعها بشىء من الاهتمام ، فذلك لأننا عكفنا على دراسة هذه الناحية من حركتنا العلمية والأدبيـة مدى أعوام طويلة ، ولمسنا فيها أوجه النقص والعمل بصورة واضحة ؛ وقد كنا وما زلنا نعتقد دائماً أن دار الكتب المصرية ، وهى أعظم مستودع لتراثنا المنسى ، هى أول وأولى هيئاتنا بالعمل لتحقيق هذه الغاية ، ذلك لأنها تضطلع بالفعل بناحية من هذه المهمة الجليلة ؛ وكل ما يطلب اليها هو أن تعمل لتنظيمها وتوسيع مداها على أسس علمية فنية تكفل اداءها بصورة مرضية ؛ ولو عنيت جامعتنا المصرية ، وجامعتنا الأزهرية بأن تأخذ كلتاهما بنصيبها من هذه الحركة لاكتملت لدينا أسباب النهضة ، ولاستطاعت مصر أن تضطلع برسالتها فى احياء الآداب العربية والاسلامية ، وواجبها فى احياء تراثها القومى ؟

محمد عبد الله عنان

حول ١٤ سبتمبر

للأستاذ محمد محمود جلال

أرأيت كيف غيّر (الكورنيش) من الرمل وكيف حكم في حظوظ البقاع ؟! هكذا ساءلت نفسي وبدأت الحديث مع صديق رافقني إلى سيدى بشر في أول سبتمبر نبحث عن دار ننزلها تحت حكم ظروف طارئة — بعد أن هجرت الاسكندرية كمصيف منذ خمس سنوات

وكأن الله يريد أن يقفنا على المزيد من آياته في تطور الكون وأنه جل شأنه قد انفرد بالدوام ، فما تحدثنا حتى دلفت بنا السيارة إلى اليمين تقطع شارعاً ضيقاً قصيراً لم أره من قبل ، قام على أحد جوانبه خلاء وعلى الآخر بناء ضخم يوشك على التمام ، وقد كدت أنكر الربوع وكأنها غير تلك التي قضيت بها الصيف أعواماً ثلاثة متواليات . وما وصلنا آخر الشارع حتى طالعنا منزل يتصل بالماضي ببنائه وموقعه اتصاله بذكرياته ، ويجفوه بلونه الجديد ، وبهذا اللون وحده يتقرب إلى الحياة الجديدة وماطرأ على (سيدى بشر)

هذا منزل (لافرلا) ثالث الأبنية بتلك المحلة نزلناه أول مرة منذ تسع سنين يوم كان (سيدى بشر) في الصف الأخير بين المصايف لا تسمع له بينها ذكرا ، فاذا ضمك مجلس مع المقبلين على التصييف شاقك ما تسمع عن (سان أستفانو) وفخامة المنازل حوله ، وطيب الهواء في (كارلتون) ، وسهولة المواصلات في (سان جورج) ، وتحس كأن البلدية ائتمرت مع الزمان القلّب فخبت الأسماء الأجنبية بخير الأمكنة ، وخصت هذه بالعناية البالغة بينما تركت الجهات الوطنية بلا ميزة ، وعطلتها من كل حلية !

غير أني أحسست لأول سكناى ظاهرة غريبة في (سيدى بشر) ، فالرطوبة أقل كثيراً من جميع المحطات . والرطوبة شر مايرهقني في الاسكندرية صيفاً ، وهذه ميزة تعدل في نظرى جميع المزايا الأخرى . ميزة تغلب أثرها على ما كنت أرى من دهشة حين أذكر بين اخواني أين أقضى الصيف وكأنهم لم يسمعوا بمحطة تدعى (سيدى بشر)

وما زلت أذكر من فكاهات تتصل بهذا المعنى أن المرحوم محمد نافع باشا ، وكان قطباً للحلقة الأولى بالكازينو - وكنا ندعوها المصطبة - كان يدعوني سيدى بشر إذا ناداني اشارة إلى انفرادى بينهم بهذا المصيف ، أو إلى اكتشافي له إذا شئت الحق

و (سيدى بشر) ذاته هو المحلة المزدحمة اليوم ، وهو الكعبة للطبقة التي كانت تنفر منه وتعده شيئاً غير الرمل وشيئاً غير المصيف منذ تسع سنين ، فثم منازل أنيقة على شاطئه الجميل ، وهذه أفواج تختص (البلاج) بخير ساعاتها ، وأفواج أخرى تسارع بسياراتها تتصيد المقاعد الخالية فيما انتثر فيه من مقاهٍ ومجالٍ للسرور

وإذا نظرت إلى (الربوع) وجدتها
تَشقى كما تَشقى العباد وتسعد

أما يوم نزلنا سيدى بشر فلم يكن به غير ثلاثة أبنية وبضعة حوانيت في بناء مستقل - ولم يكن في الجيرة ماينغص إلا تلك الأكشاك الخشبية وقد صفت على نظام في أجمل بقعة تشرف على شاطئه ، وقد خصصت لأسر الضباط الانكليز يقوم على حراستها نفر من أولئك الذين استحلوا السكل فلم يعفوا عن الأجزاء

ولم يكن للانجليز أن يختاروا الا خير البقاع ، وأحسن المواقع ، فهذه النقطة السوداء شهادة لسيدى بشر بامتيازه

وقد استتبعت هذه الجيرة الممضة أن يأوى إلى الجوار نفر من أخلاط الدخلاء يبيعون الجنود الخمور وأخرى الحاجات ، يبجلونهم ويختصونهم بخير ماحوت حوانيتهم حتى ليمنعون المصرى ما يطلب بأى ثمن

ولم تكن الحراسة بين المصريين عبئاً ولا ذات مشقة ، فهؤلاء الحراس يودعون كرم الخلق المصرى : المرض والحياة والمال . وينفقون ليلهم في تلك الحوانيت يشربون إلى السكر ، ويسهرون إلى الصبح

***

بعد أسبوعين ، وفي ليلة واحدة انعكست الآية وسمعنا بمختلف الرطانات إشادة بالخلق المصرى والكرم المصرى والنبل الوطني بين الجزع والفزع مماحدث ، فقد استطاب الجند الضيافة ، وأساغ الشرب مالا يسوغ ، وذاق المحتفون من الأخلاط بعض

آثار الاحتلال فى عتادهم وفى أنفسهم ، وشهدنا آية الصبر فى لحظة ، وكسبنا للقضية الوطنية أنصاراً حتى بين الأقداح وفى أحقر الحوانيت

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

* * *

سألنى بكر أولادى ذات صباح لمن هذه الأرض التى يقوم عليها (الكامبو) ؟ قلت للبلدية . قال وماهى البلدية ؟ أجبت تقريباً للمعنى من ذهن الطفل : هى للحكومة . قال وهل يؤدون أجرتها كما أدينا للخواجه (لافرلا) ؟

قلت يا بنى لم هذا الالحاف ؟ وفيم الاعنات ؟ وما أريد أن أبكر بالغصص إلى قلبك . إعلم أن هؤلاء الانجليز دخلوا مصر بحجة الدفاع عن عرش الخديو وحمايته ، ولم يكن ثمة تهديد لعرش ولا هدر لحياة ؛ وما زالوا يجدون فى كل يوم سبباً لأطالة الضيافة ، فهم يأخذون هذه الأرض بلا أجر كما احتلوا البلاد . قال ، لو أننا نشترى منها قطعة صغيرة ونبنى بيتاً صغيراً فلا نؤدى أجرة فى كل عام . قلت : فكرة اقتصادية وجيهة ، ولكن الانجليز ؟ قال سأخرجهم حين أصبح ضابطاً . ألم تقل بالأمس إنك ستدخلنى المدرسة الحربية ؟

قلت : صدقت ! ولقد قلت وأسأل الله إذا امتد الأجل أن توفق لخدمة البلاد ، وأدعو الله لك ولأخوانك بحياة حرة فى جو حر

وأردت أن ينقطع الحديث المشؤوم وعملت على تغيير مجراه فاستعجلته لنخرج على نية شراء بعض ما يلزمه ، وسرنا نقصد محطة الترام فوجدنا حانوتاً مغلقاً وقد تأخر عنى خطوة وانشغل به بصره ، فلما ذكرته بالسير قال : ألم تر ؟ قلت ماذا ؟ قال دكان الخواجه (خ) ، والله يا بابا لقد بكيت أمس إذ قلت لمسكرى البوليس صباح أمس حين وقف صاحب الدكان يحكى له ماجرى — خذ العساكر إلى القرقول فلم يفعل ! !

ساءنى أن يستمر الحديث على هذه الوتيرة وقلت يا بنى لقد تردد الدمع فى مآقى الوزير شريف باشا من قبل حين رأى صفوف الاحتلال فى طريق الخديو من المحطة إلى عابدين ! ولا شك أنهم سيخرجون يوماً بأذن الله ، ولن ترى من ذلك شيئاً ؛ ولقد رأى أجدادك أبشع من ذلك وأشنع ، فقد روى (هنس زيزنر) أنهم كانوا يقتلون جرحى المصريين فى التل الكبير ؛ وما زلنا نرى من أحفادهم من يحتمون بهم ومن يثقون . فيوم لا ترى واحداً من هذا الفريق لا ترى على أرض الوطن محتلاً ، ولولاه مالحق القاهرة ذلة ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

دارت الأيام ، وعدت إلى سيدى بشر وفى مكتبى الأول أكتب رسالتى وأشخص بين الفينة والفينة إلى البحر فلا أرى معسكراً يحجب ، ولا علامة تثير الغصص وتذكى الألم ، قلت مع الرسول الأمين عليه صلاة الله وسلامه : « ويعجبنى الفأل »

لعل ما ترى من استنامة للرفاهية أشبه بهذا الطلاء الزائل الذى كاد يغير من منزل (لا فرلا) — لعل الجفوة التى ترى بين رجالنا وشبابنا للمبادىء القويمة أشبه بتلك التى كنا نرى ونسمع عن سيدى بشر منذ تسع سنين ، ولعل ما يحجب عنا محاسن الخلق الوطنى أشبه بخشبات المسكر التى تكسرت وزالت ، ولعل القوة الخارقة الطارئة التى اعتبرها علماء الاجتماع وأساطين التاريخ ميزة الخلق المصرى حين هب بصد قمبيز ، ومثلت الحكم الاسلامى بالطابع الخاص فى الدول الطولونية والأخشيدية والأيوبية ، وحكمت القومية المصرية فى عهد المماليك ومحمد على ، وحررت البلاد من الانجليز فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ، لعلها باذن الله قريب منا ! ولعلها على الأبواب ! ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب !

(سيدى بشر) **محمد محمود جلال**
المحامى

صور حجازية « طبق الأصل »

الإعـــدام !

للأستاذ على الطنطاوى

سيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : هذه وحشية ، هذه همجية ، هذا لا يكون فى القرن العشرين ، قرن الحرية والنور ، هذا يأباه فلاسفة العالم المتمدن ؛ المسيو فلان ، والمستر علان ، والهر جرمان ، والسنيور ايطاليان

ويقول الحق : هــذا واجب ، هذا حسن ، هذا دواء القرن العشرين ، قرن الاستعمار والاستعباد ، وإبادة الضعفاء ، واغتصاب الحريات ، هذا ما أمر به الله ، وجاء به رسول الله صلى الله عليــه وسلم فلينظر امرؤ مسلم : أيتبع أمر الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم يتبع رأى المسيووات والمساتير ، والهررة والسنانير؟! . . .

سمعت — وأنا فى مكة — أنّ أمراً سيقع بعد صلاة الجمعة (آخر المحرّم سنة ١٣٥٤) فجعلت أرقب وأنتظر ، لا أحب أن أسأل أحداً ، كيلا تفوتني لذة المفاجأة وروعة الحادث . ثم إن الرجل فى الحرم كالسائح فى أرض الله ، لا يدرى من يسأل ؛ ولا يعرف من يخاطب ، وبينا هو فى « الهند » يسمع لغة الهنود ويرى أزياء الهنود ، ويبصر عادات الهنود ، إذا به ينتقل بعــد خطوات الى « نجد » فاذا هو بين النجديين ، وإذا كل شيء من حوله عربى نجدى ، ثم يخطو فاذا هو فى مصر ، بين المصريين ، يسمع حديث مصر . فى لهجة مصر . . . فكأن الدنيا كلها قد استقرت فى الحرم ، تســتظل بالبيت العتيق ، وتطوف به ، وتجثو خاشعة من حوله ، فلا يحس الرجل وهو فيه بأن وراءه دنيا ، أو ظاهر جدرانه حيًّا من الناس ، أو عامراً من الأرض

حتى إذا قضيت الصلاة ، وانفتل الامام ، ابتدر الناس أبواب الحرم يستبقون الى شارع الحكومة ـ وهو فى أسفل أجياد ، يمتد من شمال الصــفا حتى يجاوز باب ابراهيم ـ فلم تــكن إلا هُنيّات حتى امتلأ الشارع على ســعته بالناس ، ولم يبق فيه موطئ قدم ، فجعلت أزاحم الناس لأخلص الى الساحة ، فلا أتقدم خطوة ؛ ومن لى باختراق هذا السد الهائل من الأجساد ، واجتياز هذا الخضم من الناس ؟ فأيست واحتسبت مصيبتى فى فوت المشهد عند الله ، وهممت بالعودة الى الحرم ، وإذا أنا بالشيخ يوسف ياسين (سعادة سكرتير جلالة الملك) فتعلّقت به وقلت :

ـ والله لا أدعك حتى تبلغ بى الساحة

فاعتذر وتملّص ، فما نجا ولا تخلص ، وكيف يتملّص منى وقد كنت كالغريق وجد سفينة النجاة ، أفيدعها بعدما وجدها ؟ فأجاب على كره وسار وأنا أتبعــه ، والبحر ينشق له كأن بيده عصا موسى . . . وما للناس لا يتفرقون من بين يديه حذرين خائفين ، وهو سكرتير الملك ؟ حتى إذا بلغ بى درج القصر عاد لشأنه وتركنى ، فصعدت فلم أجد مكاناً أقف فيــه ، ووجدت الغرف كلها ملأى بالموظفين والمقربين والحاشــية ، فقادونى الى غرفة فخمة أعدت للأمير فيصل (ابن الملك ونائبه على الحجاز) ولأهل البيت : بيت الملك

ولم لا يفعلون وأنا ممن يكتب فى الصحف ، والاكرام إنما يكون لمن يكتب فى الصحف ، أو يملك سبيلاً من سبل الدعاية ، والحذر إنما يكون من هؤلاء . فذكرت قالون وزير لويس السادس عشر ، حين رأى أن خير طريقــة لتقوية الحــكومة الضعيفة ، وإغناء الخزانة الفقيرة ، أن تقيم الحــكومة الولائم الفخمة وتنفق الأموال الطائلة ، تشترى ألسنة المادحين ، وأقلام الــكاتبين حتى يقال : إنها غنية . . فقالوا : إنها غنية ، لأنهم أكلوا خبزها ولــكن الخزانة قالت : إنى فقيرة ! وقال التاريخ : إن قالون رقيع ...

* * *

وقفت فى النافذة بين فتية من آل البيت ؛ فيهم ابن للأمير فيصل فى نحو الثانية عشرة من عمره ، ما رأيت فى لداته أثقب منه ذهناً ، ولا أصحّ جواباً ، ولا أحدّ ذكاء ؛ وأطللت على الناس ، وإذا هم أخلاط من كل جنس ولغة وزىّ ، فمن رجل عباية (١) على رأسه عقال أسود على صِماد أحمر (٢) قد التحف بمباية رقيقة على ثوب أبيض ، وقد حلق لحيته كلها إلا نقطة واحدة من المثنون ، وهلالاً دقيقاً من تحتها ، نما فيه صف واحد من الشعر كأنما هو مروحة تدلت على صدره : سنة يتبعونها ما أنزل

---

(١) العباية : العباءة والرجل الجافى

(٢) الصماد : ما يوضع على الرأس دون العمامة أو العقال ، ويسميه الشاميون كوفية ويدعوه النجديون الغماغ

الله بها من سلطان ... وهذا هو النجدى

ومن رجل يلبس ثوباً رقيقاً فوقه رداء قصير (جاكيتة) من قماش هفهاف ، وعلى رأسه قَلَنسيَّة (طاقيَّة) بيضاء ، إذا مشى في الشمس تعممّ عليها بملحفة بثقل الفراش ، يتقى بها شمس مكة الحادة المخيفة(١) وهو حليق اللحية صغير الشاربين ... وهذا هو الحجازى

ومن رجل وسخ الثياب ، ممزقها ، لا تدرى عن ثيابه ما لونهما وما هى ، وعلى رأسه حبل قد وضعه مكان العقال . . . وهذا هو الأعرابى

ومن رجل يلبس ثوباً متقن الصنع ، عليه عباءة جميلة شفافة وعلى رأسه عقال مذهب ، أو يلبس بدل الثوب حلّة (بدلة) بيضاء وهو حليق اللحية ، إلاّ قليلاً منها يبقيه بمثابة الدلالة على أنه ملتح ... وهذا هو السورى . وأكثر السوريين فى الحجاز موظفون فى الوظائف الفنية ، وأقلهم تجار

ومن رجل على رأسه عمة ضخمة فخمة كعمائم السلاطين من آل عثمان — يوم كان لآل عثمان سلاطين ، وكان لسلاطينهم عمائم — وقد أرخى بين كتفيه عذَبة طويلة ، وله لحية كثّة مستديرة ، وشاربان طويلان ، أما ثيابه فقميص تحته سراويل بيض ، تبلغ الكعبين ... وهذا هو الهندى

ومن شاب حليق الوجه كله (على الأسلوب الأمريكانى) نظيف الثياب مهفهف قد ائتزر بمئزر (فوطة) لفّها على خصره النحيل لفاً محكماً ، واجتزأ بها عن السراويلات ، وارتدى عليها رداءً قصيراً رقيقاً ، وربما بلغ ثمن المئزر من هذه المآزر خمسة الجنيهات أو أكثر ... وهذا هو الطالب الجاوى ، وما أكثر هؤلاء الطلاب فى مكة

ومن عبد أسود ، جعْد الشعر ، أفطس الأنف ، ضخم الشفة ، عارٍ إلاّ من خرقة تستر عورته أو بعض عورته ... وهذا هو الأفريقى الأسود

ومن ... ومن أمم ربنا التى لا تعد ولا تحصى

وكان القوم مختلفين فى أزيائهم ولغاتهم وأجناسهم ، ولكنهم تجمع بينهم هذه القبلة التى قطعوا السباسب ، وخاضوا البحار ، ليواجهوها ، ويقفوا أمامها ، ويتملقوا بأستارها

* * *

ثم أقبل الجند ، وهم بثياب عربية . قد تمنطقوا عليها بمناطق الرّصاص ، فاصطفوا من حول الساحة ، ثم أقبل الأمير فيصل فى موكبه ، يحف به طائفة من عبيده الأمناء الأشداء الأوفياء ، فصعد إلى الغرفة التى نحن فيها فجلس فى شرفتها الكبرى

ثم جئ بالرجل ؛ وهو قصير كزٌّ ساهم ، ما عليه إلا قميص واحد مشقوق الجيب ، وكان أصفر قد دمع وامتقع لونه ، وغاض من وجهه الدم ، مجموعة يداه إلى قفاه ، قد مات من قبل الممات . يقوده جندى آخذاً بتلابيبه ، حتى إذا بلغ به الساحة خلاّه فهوى جاثياً على ركبتيه ، فلبث لحظة ما يفتح عينيه من الجزع ، ثم ارتدت إليه نفسه بعد حين ، فجعل يقلّب عينيه فى الناس فيرى كل شىء من حوله ميتاً لا حياة فيه ، فكأن الدنيا قد أظلمت فى ناظريه حين يئس من الحياة ، كبيت أطفئ فيه المصباح فى ليل داج

وجعل يرى الشمس مشرقة ، ويرى الجند جائين ذاهبين ، يُدلون بشاراتهم وسلاحهم ، ويرى القصر قائماً يحمل سطوة الحكومة وهيبة السلطان . . . ولكنه لا يرى من ذلك كله إلا صوراً مطموسة ، تطلع عليه من خلال حلم عميق ... ثم تضاءلت هذه الصور واختلطت ، ولم يبق قيد ناظريه إلا الكعبة ، يبصرها من باب الحرم ، فجعل يحرك شفتيه بالتوبة والاستغفار ويشير بسبابته إشارة التوحيد ، ثم أغمض عينيه وجرفه سيل من العواطف المتباينة فغاب فى ذهول عميق ، ولم يعد يفكر فى شىء

وجئ بالمجرم الآخر ، وهو عبد أسود ، ضخم الجثة ، غليظ الشفتين ، كثير الشعر ، كأنه غول هائل ، أو وحش مروع ،

---

(١) من أصيب بضربة الشمس فى مكة فانما أصيب بالموت المحقق ، ومع ذلك فقد كان معنا فى رحلتنا الكشفية الى الحجاز ، شاب نجدى اسمه حبيب ، ما رأيته ستر رأسه ، فى بادية ولا فى حضر ، فقلت له : ويحك ألا تخشى ضربة الشمس ؟ فقال لى ما نصه : والله لو وقفت الشمس هنا أربعين صباحاً (وتقر على صدغيه) ما خلصت الى داخل . . . فعلمت حينئذ كيف مضى أجدادنا لفتح العالم . .

وقد قيده الجند ، وجمعوا يديه إلى عنقه وأقبلوا يمسك به ستة منهم وهو يصاولهم ويقاومهم ، ويزمجر ويصرخ صراخاً شديداً ، وهم يزُرُّونه ويقرّعونه حتى انتهوا به إلى الساحة ، فاجتمعوا عليه فأضجعوه على سرير من الخشب وشدوه اليه شداً وثيقاً ، وأقاموه بحيث يرى رفيقه ويبصر مقتله

* * *

وكأن العبد قد اهتمجت نفسه ، وأدركه الخور ، فسكت وسكت الناس وعلقوا أنفاسهم وشخصوا بأبصارهم

وجعلت أطل من الشباك أبحث عن الجلاّد فلا أرى أحداً ، وأفتش عمن يتلو حكم الاعدام فلا أجده . وأرى سمو الأمير يشير بيده ، فاذا عبد ضخم يبرز من بين الصفوف ، وبيده سيف صقيل مسلول ، فيأتي الأعرابي من ورائه وينخسه بالسيف ، فينتبه ويمد عنقه مستطلعاً ، فيهوي العبد بالسيف على قذاله ، ثم يحزّ به الرأس حزّاً ، فلا تمضي ثوان إلا والرأس قد بُتر عن الجسد ، من القذال إلى أعلى الصدر ، وطاح ثلاثة أمتار قبل أن تند من المقتول صرخة ، ونفر الدم من عنقه كأنه نافورة ، ومال الجسد قليلاً قليلاً حتى هوى ، وهويت أنا قبل هويّه وكفاي على عيني ، ولم أعد أشعر بشيء

ولما صحوت قيل قد فاتك المشهد الهائل : قطعت يد العبد ورجله من خلاف

قلت : ويحكم ، ماذا تقولون ؟

قالوا : قطعت يده ورجله ، ألم تتل قول الله عز وجل : « إنَّما جَزَاءُ الذينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّعَ أيْدِيهِم وأَرْجُلُهُم مِن خِلافٍ أو يُنفَوْا مِنَ الأرضِ » . أما إنه لولا هذا ما بلغتم أرض الحجاز سالمين . وما العهد السابق ببعيد ، أفلا نستحي بقتل واحد أواثنين الناس جميعاً ؟ قلت : بلى والله ! صدق الله العظيم : « ولكم في القِصاص حياة »

دمشق

علي الطنطاوي

٢ ـ الشـــــعر *

في صدر الاسلام وعهد بني أمية

بقلم احمد حسن الزيات

خصائص الشعر في العراق

لعل الشعر العراقي الاسلامي أصدق ما يصور حياة البادية، وأصح ما يعبر عن نفسية العرب؛ فانه — وإن كان كما قلنا استمراراً للشعر الجاهلي يصدر عن دوافعه، وينبع من منابعه — أنقى جملة وأبين علة وأصح نسبة، لقربه من عصر التدوين واتصاله بأسباب السياسة وأحداث التاريخ. وهو مظهر لتلك الحياة المدنية الأولية التي هيأها الاسلام للعرب لأول مرة، لجمل من الأشتات وحدة ظاهرها الجماعة والالفة، وباطنها المداوة والفرقة؛ فهو مهاجاة بين الأفراد، ومساجلة بين الأحزاب، ومفاخرة بين القبائل، ومدح للزعماء والخلفاء؛ وهذه الموضوعات بطبيعتها تقتضي اللفظ الجزل والأسلوب الرصين والعروض الطويل والصور البدوية، وتعتمد في الهجاء على مثالب الآباء من جبن وبخل وقلة وذلة، وفي المدح والفخر على ذكر أيامهم الدامية الماضية وما ظفر فيها أسلافهم من الغلب والسلب. فالهجاء في هذا العهد بأنواعه الخاصة والعامة يكاد أن يكون مظهره العراق، لتكالب القبائل المتعادية عليه، وظهور المذاهب المتباينة فيه، وغلبة البداوة والانفة والبطر على أهله. فشعراؤه يبتدئون به ويفتنون فيه ويعيشون عليه، وهو ينتحل الأسباب المختلفة، ويرتدي الأثواب المتعددة، فيكون فردياً وقبليًّا ووطنيًّا ودينيًّا وسياسيا؛ ولكنه في الواقع إنما يصدر عن باعث واحد هو العصبية الموروثة والأحقاد القديمة

وقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقائل هذا البيت غياث بن غوث الأخطل صوت الجزيرة ولسان التغلبية وأديب النصرانية وشاعر الأموية. كان أول ما غرزم به من الشعر الهجاء، هجا امرأة أبيه وهو صغير، وهجا كعب بن جعيل شاعر تغلب، فأهمله وهو يافع، وعلق به لقب الأخطل منذ شبّ لسفاهته. ثم مضى يقرض الشعر فيما يشجر من الخصومة بينه وبين الناس، أو بين قبيلته وبين القبائل، حتى كان بين يزيد بن معاوية وهو وليّ العهد وبين عبد الرحمن بن حسان الانصاري تقاول وجدل، فطلب من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار، فتحرج أن يذمّ قوماً آووا رسول الله ونصروه، وقال له: أدلك على الشاعر الفاجر الماهر (يريد الأخطل): فهجا الأخطل الأنصار بالفلاحة واللؤم والخمر، وفضل عليهم قريشاً في قصيدته الرائية، وكاد يشفى من ذلك على الخطر لولا عون يزيد؛ وبالغ الأمويون في إيثاره وإكرامه، وأمن هو في النفح عنهم، فناضل الزبيريين بعد الأنصار، وصمد إلى القبائل القيسية فهتك عنها حجاب الشرف قبيلة قبيلة بقصيدته التي مطلعها:

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بكر
وإن كان حيَّاناً عِدَى آخر الدهر

لمناسبتها الأمويين العداء من جهة، ولافتخارها الجزرية على قومه من جهة أخرى، ثم ختم حياته بممالأة الفرزدق ومهاجاة جرير. والأخطل وإن كان شديد التمسك بنصرانيته، على وثيق صلاته بالخلفاء، لم يشذ عن طبيعة العرب في التدين، فقد قال الأب لامنس في فصل كتبه عنه: «إن أثر النصرانية في دين الأخطل ضئيل، ونصرانيته سطحية ككل العقائد الدينية عند البدو»، فهو يدمن الخمر في حمى الدين، ويكثر الهجاء في حمى الخليفة، ويهاجم القبائل في حمى تغلب؛ ولكن هجاءه كان عفيف اللفظ لا يركب فيه متن الشطط ولا يتجاوز به حدود الخلق

وأبو فراس همام بن غالب الفرزدق الدارمي ثم التميمي نشأ كذلك بالبصرة على قول الهجاء مع شرف أسرته وغنى قبيلته وعزة نفسه؛ فكان يهجو بني قومه لحدة طبعه وشراسة خُلقه، فيشكونه إلى أبيه فيضربه؛ ثم لج في هجاء الناس حتى استعدَوا عليه زياداً والي العراق لمعاوية، فطلبه ففرّ منه في مدن العراق وقبائله، ثم لجأ إلى المدينة واستجار بواليها سعيد بن العاص من زياد فأجاره؛ فلما مات زياد عاد الشاعر الى وطنه فساهم فيما وقع

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربي الذي صدر حديثا

فيه من حروب وفتن بعد موت معاوية ويزيد، حتى بنى عهاجاة جرير فشغلت فكره وملأت عمره وصقلت شعره، وظلت هذه المهاجاة أربعين سنة ونيفاً كان منها للناس مشغلة، وللسواس مهزلة، وللأدب العربي ثروة ضخمة من الشعر لا تخلو على سفاهتها وبذاءتها من حكمة. وكان جرير بن عطية الخطفي التميمي قد قال الشعر كصاحبيه في الحداثة الباكرة، وقاله مثلهما في الهجاء، ولكنه بدأ بالرجز على نحو ما يكون من الرعاة وهو منهم. وكان خمول عشيرته وضعة أسرته وفقر أبيه وحدة خلقه من العوامل التي ساعدت الطبع على نبوغه في الشعر وتفوقه في الهجاء؛ وكان أول من نازله وأفحمه غسان السليطي حين هجا قومه، فاستغاث السليطي بالبعيث فأغاثه وهجا جريراً، فنقض جرير قوله بالهجاء اللاذع، فناضل عنه الفرزدق لموجدة في نفسه على جرير، وتهاجى الشاعران التميميان من أجل ذلك. وفضّل الأخطلُ الفرزدقَ على جرير إما لدفاعه عن قيس، وإما لرشوة محمد بن عمير إياه، فهجاه جرير، ثم نبحه الهجاء من كل مكان حتى نصب له من الأقران ثمانون شاعراً ظهر عليهم جميعاً إلا الفرزدق والأخطل فإنهما ثبتا له ونازعاه الغلبة. وانشعب الناس في أمر جرير والفرزدق شعبتين تناصر كل منهما أحد الشاعرين؛ وكان بين الفرزدقيين والجريريين ما بين العلويين والأمويين، يطالب كل منهم الغلبة لصاحبه بالدعاية والنكاية والرغبة والرهبة والحلف، يقوم الأولون بالمربد والآخرون بمقبرة بني حصن، وقد وقف الشاعران كلٌّ بين أتباعه وأشياعه ينشدهم شعره وهم يكتبونه، والرواة ينشرونه، والأدباء والأمراء يتناولون ما روّى بالموازنة والنقد والحكم، والأنصارُ يحاولون رشوة الشعراء واستمالة العلماء ليحكموا لصاحبهم على خصمه؛ فقد روى الأغاني أن أحدهم تبرع بأربعة آلاف درهم وبفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير. وليس أدل على اهتمام الناس بأمرهما واختلافهم في الحكم على شعرهما من أن يتهادن الجيشان المتقاتلان ساعة ليحكم أحد الخوارج الأدباء بين رجلين من رجال المهلب تنازعا في أمر جرير والفرزدق، فقد ذكر ابن سلام أن رجلين تنازعا في عسكر المهلب في جرير والفرزدق وهو بازاء الخوارج، فصارا إليه فقال لا أقول فيهما شيئاً، وكره أن يعرض نفسه لشرهما، ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما: عبيد بن هلال، وهو يومئذ في عسكر قطري بن الفجاءة، فأتيا فوقفا حيال المعسكر فدعواه فخرج يجر رمحه، وظن أنه دعي إلى المبارزة، فقالا له: آلفرزدق أشعر أم جرير؟ فقال: عليكما وعليهما لعنة الله! فقالا: نحب أن تخبرنا ثم نصير إلى ما تريد، فقال من يقول

وطوى القيادُ مع الطراد بطونها ... طي التِّجار بحضرموت برُودا

قالا: جرير. قال: هو أشعرهما

وهناك طائفة أخرى من شعراء العراق كعبيد الراعي وأبي النجم العجلي والراجز اتخذوا من الشعر ظُفُراً وناباً مزقوا بهما الأعراض وأشاعوا هُجر القول في الناس، ولكن أحدهم لم يبلغ من سطوة الشعر ونباهة الذكر ما بلغ جرير والفرزدق والأخطل، لأنهم كما قال أبو عبيدة: «أعطوا حظاً من الشعر لم يعطه أحد في الاسلام: مدحوا قوماً فرفعوهم، وذموا قوماً فوضعوهم، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم، وهجاهم آخرون فرغبوا بأنفسهم عن جوابهم فأسقطوهم»

مذهبهم في الهجاء

مذهبهم في الهجاء هو المذهب المتبع والطراز الغالب؛ على أنهم يتفاوتون فيه تفاوتهم في الطبقة والبيئة والطبع

فالأخطل سيد في قومه، كريم في نسبه، نبيل في نفسه، يعاقر الخمر ويجالس الملوك ويحترم الدين ويحتمل في سبيله ضرب الأسقف وأذى السجن وإن كان لا يتعبد ولا يتزهد. ومن أجل ذلك كانت لغته في الهجاء كما ذكرنا من قبل لغة الخاصة، لا يسف الى القبيح ولا يستعين بالمخازي، وإنما يهاجم القِرن في صفات الرجولة فينفي عنه الكرم والبأس والمجد والصدق كقوله في تيم:

وكنت إذا لقيت عبيد تيمٍ ... وتيما قلت أيهما العبيد!
لئيم العالمين يسود تيماً ... وسيدهم وإن كرهوا مسود

وكقوله في كليب بن يربوع:

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم المزّاء والسكَر
قوم تناهت إليهم كل مخزية ... وكل فاحشة سُبَّت بها مضر
الآكلون خبيث الزاد وحدهمُ ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبر
وأقسم المجد حقاً لا يحالفهم ... حتى يحالف بطنَ الراحة الشعَر

ولعل أخش هجائه قوله فى قوم جرير :

قوم إذا استنبح الضيفان كلبهم   قالوا لأمهم بولى على النار
فتمنع البول شحاً أن تجود به   ولا تجود به إلا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندى عندهم   والقمح خمسون أردباً بدينار

فترى أنه حتى فى إقذاعه وإيجاعه لا يتدلى الى ذكر المثالب الخاصة والمعايب الفردية ، وإنما يهاجم قبيلة الخصم كلها فيقايس بينها وبين قبيلته فى السمو الى المعالى والسبق الى الغايات ، وفى ذلك يجد بلاغه ومدده ، فلا يضطر اضطرار جرير الى ذكر الصغائر التماساً للغلبة الدنيئة من أقرب طريق . انظر الى قوله لجرير :

يا ابن المراغة إن عمىّ اللذا   قتلا الملوك وفككا الأغلالا
وأخوهم السفاح ظمأ خيله   حتى وردن جبى الكلاب نهالا
فانعق بضأنك يا جرير فانما   منتك نفسك فى الخلاء ضلالا
منتك نفسك أن تكون كدارم   أو أن توازى حاجباً وعقالا

وإلى قوله له :

ولقد شددت على المراغة سرجها   حتى نزعت وأنت غير مجيد
وعصرت نطفتها لتدرك دارماً   هيهات من أمل عليك بعيد
وإذا تعاظمت الأمور لدارم   طأطأت رأسك عن قبائل صيد
وإذا عددت بيوت قومك لم تجد   بيتاً كبيت عطارد ولبيد

تجد أن هجاءه أقرب ما يكون إلى المنافرة والفخر . ومن الواضح أن هذا الهجاء العفيف المترفع وإن أمضّ لا يجرى مع هجاء جرير فى ميدان ، ولا يستوى وإياه عند العامة فى ميزان ، فكيف إذا اجتمع إلى ذلك خمود الشيخوخة فى الأخطل وحدة الشبيبة فى جرير ؟ إن جريراً نفسه قد علل ونال خصمه عنه فى آخر الشوط بكبر سنه ، فقد قال : « أدركته وله ناب واحد ، ولو أدركته وله نابان لأكلنى » . وقال فى قصيدته النونية التى هجا بها الأخطل على أثر تفضيله الفرزدق عليه :

جاريت مطلع الرهان بنابه   روق شبيبته وعمرك فان

وإذا استثنينا هجاء الأخطل لجرير وجدنا أشهر أهاجيه إنما قالها فى أغراض قومية أو سياسية . ومن تلك الأهاجى المأثورة قصيدتان تلخصان مذهبه وتصوران فنه : الأولى فى هجاء القبائل القيسية ومطلعها :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بكر
وإن كان حيانا عدى آخر الدهر

والأخرى فى مدح عبد الملك بن مروان وذم خصومه ومطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

ومنها :

بنى أمية إنى ناصح لكم   فلا يبيتن منكم آمنا زفر
فإن مشهده كفر وغائلة   وما يغيب من أخلاقه دعر
إن العداوة تلقاها وإن كمنت   كالعر يكمن حيناً ثم ينتشر
بنى أمية قد ناضلت دونكم   أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
وقيس عيلان حتى أقبلوا رقصاً   فبايعوك جهاراً بعد ما كفروا

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم
وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والأخطل لنصرانيته لم يستطع أن يتخذ من الاسلام سبباً للفخر ولا مادة للهجاء ، فاكتفى بذكر مناقب آبائه ومثالب أعدائه ، على أنه يستغل أحياناً بعض ما أنكر الاسلام فيهجو به وإن كان هو يستبيحه ، كقوله فى الأنصار يرميهم بشرب الخمر :

قوم إذا هدر العصير رأيتهم   حمراً عيونهم من السطار

وكقوله فى كليب بن يربوع :

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم
إذا جرت فيهم المزاء والسكر

(يتبع)   الزيات

في مؤتمر الكتاب الأوربيين لحفظ الثقافة

خطاب أندريه جيد

نحن قليل في هذا المكان بعددنا، كثير إذا اقتصر الأفراد منا على حب بلادهم، وكثير كثير إذا أضمر هؤلاء الأفراد للبلاد الأخرى ضغينة وحقداً: إذا ما حدثتكم عن شعوري أيها السادة أقول بأني إنساني النزعة في الوقت الذي ما أزال فيه فرنسياً صميماً، وأقول بأني فردي من أنصار الفردية مع الاعتقاد الراسخ بأني شيوعي صميم، لا أجد في الشيوعية غير نصرة لفرديتي وكل تأييد، لقد كانت رسالتي التي حملتها طوال خمسة وستين عاماً: أنه بمقدار ما تكون شخصية الانسان قوية وأصيلة فيه، تكون خدماته للمجتمع أجل وأحسن، وقد أضفت في السنوات الأخيرة إلى هذه الرسالة رسالة جديدة هي من الأولى بمثابة البنت للأم، هي أن الجمعية الشيوعية تترك المجال الوسيع لكل شخصية وللخصائص التي تتميز بها كل شخصية تنمو وتزدهر على وجهها الأكمل؛ وحسبي أن أمثل بعبارة لأندره مالرو ساقها في مقدمة أحد الكتب وقد أصبحت مثلا يجري على كل لسان « إن الجمعية الشيوعية ترد إلى كل شخصية نتاجها الخصيب »

وأذكر اسم رابليه في هذا الكلام لأن النشاط الذي تركه في آدابنا الفرنسية الجميلة لم يتركه أديب من بعده، ولأني أعتبره خير ممثل للأديب الفرنسي العريق، ولربما كان فيما كتب بين معاصريه خير ممثل للعصر الذي عاش فيه، لقد أخذت الآداب الفرنسية بعد رابليه تهدأ ثورتها، تتوخى الطريق المطمئنة المسالمة التي لا صعاب فيها ولا عراقيل، تجنح إلى الغموض والابهام غير مكترثة بالمادة مشيحة بوجهها عنها

أعني بالآداب الفرنسية التي سميت « كلاسيكية » كل ما يدخل تحتها من كتاب وقراء ونظارة وأبطال للرواية والقصة، أعني بأن كل هؤلاء قد كُفُوا مؤونة السعي والجد طلباً للعيش؛ وعلى هذا الأساس كانت وظيفة الأديب أن يحدث أناساً موفورين عن أناس موفورين، وإذا لم يكن منعماً هذا الذي يحدث عنه الأدب، فليس من شأننا أن نعرف ذلك وليس من شأننا أن نعرف لماذا كان أكثر هؤلاء الذين يحدث عنهم أغنياء مغتبطين؟ وعلام يستندون في جمع ثرواتهم؟ إن الأدب لا تعنيه كل هذه الأسئلة المضنة! فهؤلاء الأبطال يصورهم لنا راسين في مآسيه الرائعة وقد خلوا من تكاليف الحياة ليس لهم إلا أن يندفعوا مع أهوائهم مرخين العنان لقلوبهم تعشق وتحب، ولرؤوسهم تحلم وتفكر. إن هؤلاء الأبطال لا يعيشون في غير أسطر ضمت في كتاب أو على خشبة مسرح يتقمص أفعالهم الممثلون

لست هنا في معرض دعوى أدافع بها مطالباً بحكم على هذه الآداب الكلاسيكية، فاني من أكثر الناس حباً لها وإعجاباً بها وبكل ما هو رائع وجميل، بل أقول إن الأدب لم يشهد منذ الأغريق الأقدمين عهداً رائعاً مثل عهد هذه الآداب. ولرب قائل يقول: إن هؤلاء الملوك والملكات وهؤلاء الأمراء والكبراء الذين لا تخلو منهم رواية مسرحية ألفت في القرن السابع عشر هم الذين ينبو عنهم ذوقنا؛ وأكبر ظني أن ليس هناك أحد يستسيغ الحديث عن أناس نسبت اليهم أفعال حميدة وكلام مزوق معسول، وقد جعلوا في جو من الأبهة والملك يشفعان لهم إذا لم يأت كل ما نسب إليهم مطابقاً للواقع صادراً عن ميولهم ومجرد إحساساتهم؛ وإذا استساغ البعض حديثاً من هذا النوع فانهم لا يجدون فيه صورة منقولة عن عالم الأحياء الذي يعيشون فيه. فليس كل من يدبون على الأرض مترفين ولا أصحاب امتيازات

لعمري إن آداباً تلك سمتها لا تعبأ بغير هذا النمط من الناس ولا تهتم بغير الرؤوس والقلوب منهم، لا يرجى لها مستقبل تأمن فيه من أن تزل قدمها فتهوي إلى أعماق البحر الذي تمشي على شطآنه

إن الآداب والفنون إذا لم تكن مرآة للحياة وصدى للحقيقة فانها أشياء مصطنعة لا تلبث أن تفقد قيمتها، وإننا إذا استثنينا الآداب اللاتينية لا نجد آداباً أوروبية أخرى أكثر من الفرنسية إيغالاً في الخيال وتعلقاً به، ما تزال إلى الآن تعتمد عليه اعتماداً كبيراً.

إن الآداب لا تسمو ولا تقوى ولا تتجدد إلا بالمقدار الذي تستمده من الشعب الذي يعتبر بحق دعامة المجتمع وأساس بنيانه، وما أشبه حال الأدب ببطل الأسطورة الأغريقية ذات المغزى البليغ

التى تحكى أن أنتيوس يفقد قواه وتفل عزيمته كلما ارتفعت رجلاه عن أن تمس الأرض (١)

يتساءلون عن الكاتب الذى غذى الآداب الفرنسية فى غضون القرن الثامن عشر وجدد فى حيويتها ؛ ليس هو فولتير ولا هو مونتسكيو على عبقريتهما وما قدماه لهذه الآداب من البدائع . إن هذا الكاتب رجل خرج من بين الرعاع لا حسب له ولا نسب : هو ديدرو وهو روسو

. . . يقول كاتب فى جريدة (الاكسيون فرانسيز) منذ عهد قريب : « إن المدنية هى الكذب ومحض الاختلاق ، وظيفتها إقامة رجل متصنع فى شؤونه متكلف فى أحواله مكان الرجل الطبيعى العادى ، شبهها شبه الرجل الذى يبرز مرتدياً ثيابه مصففاً شعره بعد أن يكون عارياً فى حجرته الخاصة » ثم يختم المقال بقوله « على المرء أن يختار بين أن يكون متمدناً لا يعرف للأخلاص معنى وبين أن يكون غير متمدن مخلص لذاته »

كلا ليس من المحتم على المدنية أن تتجرد من صفة الاخلاص ، وليس من اللازم على الانسان إذا أراد التمدن أن يكون كاذباً أفاكا ، بل إذا لم يكن للمدنية بد من شىء تتصف به وتحمل طابعه فانه الصدق . انى لست من الذين يلقون تبعة الكذب والتزييف البادين على كل مظهر من مظاهر حياتنا على عاتق الفرد ، فان الجانى هو المجتمع كلما أراد أن يخنق صوت الشعب ، وكلما حاول أن يتركه على حاله من الغباوة والجهل والاستعباد ، لا يعرف ما يجيش فى فؤاده فيعبر لنا عنه ولا يدرك ما تستفيده الثقافة منه إذا جهر بما هو دائر فى خلده حائم بمخيلته

وقفت نفسى مذ كنت شاباً احترفت حرفة الكتابة على دحض الزعم القائل « قال الانسان كل ما يمكن أن يقوله وليس فى استطاعة أحد أن يقول غير ما قد قيل » وقد اتخذ هذا الزعم وطنيو ذلك العهد شعاراً لهم يتمثلون به

أليس من دواعى العجب والغبطة وقد مضى عصران كاملان على الكلمة التى كان يعتز بها لابروبير : « جئت فى الزمن الأخير » أن نرى أنفسنا أمام عالم حافل بالعجائب والغرائب لم نصل بعد إلى كثير أو قليل من أسراره ، أمام عالم يقظ فى إبان فتوته يطلع علينا كل يوم بجديد

من يقل أدب قوم فكأنه عنى بذلك خصالهم وأحوال مجتمعهم ، لكن هذه القاعدة كثيراً ما تشذ ، وقد كثر شذوذها فى الآداب الفرنسية ، فان لدينا طائفة كبيرة من الكتاب العظام لم يحظوا فى حياتهم بعطف الجمهور وتقديره ، فيقال بأنهم يكتبون لأنفسهم ؛ لكن هذه الطائفة لم تعدم بعد حين الأنصار الذين رفعوها إلى المكان اللائق بها ؛ وقد فطنوا للنظرات المجلى التى لم يستطع ادراكها المعاصرون . وكأنى بذلك أعود بالمخيلة إلى بودلير والى رامبو والى ستاندال أيضاً الذى كان يكتب لعدد ضئيل من محبى أدبه ، ويقول بأن قراءه الحقيقيين لم تلدهم أمهاتهم بعد .. بل وأتخيل نيتشه ووليام بلاك ومكفيل الذين لم يكن حالهم بأحسن من حال الأولين . هذا وانى لم أذكر إلا الكبار

نشهد اليوم حادثاً لم يسبق للتاريخ مثله ، عظيم الأهمية ، لا تقاس به الأحداث ، ذاك هو النظام الجديد القائم فى روسيا السوفيتية ، ولست مبالغا إذا قلت بأنه عمل « نموذجى » يُنسج على منواله ؛ إن بلادا يجرى فيها مثل هذا النظام يجعل الكاتب يتحسس بيئته ويتصل بقرائه اتصالاً مباشرا ، لا يدور حولهم كالتائه يفتش عن ضالته كما هى حالنا معاشر الكتاب ، فيستمد من الحقيقة التى تحيط به مادته ، ويستلهم منها أخيلته ، ويستمع إلى صداه بأذنه . إن بلاداً مثل هذه يؤدى فيها الأديب رسالته كما يجب أن تؤدى ، جديرة منا بكل اعجاب . بيد أن ذلك كله لا يفيد . إن الطريق كلها سليمة لا تعتورها الأشواك ، وكيف تجتنب الأخطار جميعها ما دام العمل الفنى فى طبيعته ضعيف المقاومة ، قليل التأثير بادئ ذى بدء . ولعل الكلام عن مثل هذه الأخطار التى هى من طراز جديد ستحين له فرصة ثانية ، لقد رأيت فى النتاج الأدبى السوفييتى آثاراً أثارت منى كل اعجاب ، لكنها ما تزال بعيدة عن أن يتمثل فيها الانسان المنتظر ، الذى ما برح هذا الأدب يعمل على ايجاده ، وهو ما يزال فى

(١) الأسطورة تقول إن أنتيوس Antée بن جى (الأرض) اعترض هرقل فى طريقه إلى أطلس (الذى يحمل السماء على منكبيه) وقد وسوس اليه الشيطان بقتله فكان عراك طويل حتى فطن هرقل إلى السر الذى يستمد منه خصمه أنتيوس قوته كلما بدأت قواه أن تخور بوقوفه على الأرض فرفعه رفعة هائلة ثم أخذ يضغط على عنقه الغليظ العبل حتى شهق شهقة كانت هى شهقة الموت (المعرب)

مراحله الأولى يصور لنا أدوار التكون والتمخض والولادة ، وانى لشديد الأمل برؤية الآداب السوفيتية قد كبرت واشتد ساعدها ، فأصبح الكاتب فى كنف الحقيقة الماثلة ، فاتحة له صدرها يضمها بكلتا يديه

إن الأدب الخالد الذى تقبله النفوس وتقدم عليه بشغف يتجدد فى كل حين ، لاينقطع لسد حاجة وقتية تنبعث عند طبقة من الناس ، فى وقت من الأوقات ، وعلى هذا الأساس ، فان حكومة السوفييت لم تقتصر على طبع الآثار والمؤلفات التى جادت بها قرائح كتابها وشعرائها ، فانها عنيت عناية فائقة بنشر أشعار بوشكين ، وتمثيل مسرحيات شكسبير ؛ ولم تقل قط بأن أدب كتابها مرسوم له الخلود ، ولا هى تستبعد أن يكون نتاج هؤلاء الكتاب صائراً إلى الزوال بزوال الحاجة التى دفعت اليه ، مادام الزمن لم يحكم حكمه عليه ، وإذا كان هنالك من شىء يمسخ الفائدة التى يمكن أن يجنيها الناس من قراءة الكتب وانشاء الأشعار ، فما هى إلا أن ترسم لهم الأمثولة ويحدد لهم المغزى ، وفى التدليل الكثير على العظة التى تتضمنها الكتب ضياع لمسحة الجمال التى يتميز بها الأدب ، ويصبح بذلك ضرباً من ضروب الوعظ الجافة

ليس مما يضير القراء ألا يوفقوا كلهم إلى غاية واحدة ، فان فى استطلاعهم اياها فى أجواء مختلفة فائدة لا تقدر ، وفى ذهابهم مناحى متباينة بعد عن أن تكون هناك سلطة يستهذون بها . هذا والثقافة كانت لجلاء الذهن وأطلاق الفكر قبل أن تكون عامل ارشاد وتهذيب

تتوجه أنظار المفكرين ، فى هذا الزمن ، الى انتشال الانسانية من وهاد الاضطهادات التى تردت فيها ، وانى لا أقدر لهؤلاء المفكرين أن يظل الانسان موضع اهتمامهم يوم يفلت من قيده وينطلق حراً شريفاً ، فلا يعنون به إلا خانعاً ذليلاً أو غراً جهولاً ، بل ولقد أسبغ على نفوسنا طول تحدثنا عن البؤس وتغنينا بمحامده ومزاياه حلة من الخنوع والاستكانة لا تليق بها

جميل أن نحلم بمجتمع تعم نعماؤه الأفراد ، وأجمل منه أن نوقن بقرب قيام هذا المجتمع ؟

ترجمة وتلخيص ماجد شيخ الأرض

٣ - الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين فى العصر الحاضر

« ان صوتى قد أوقد النار القديمة فى بلاد إيران
ولكن العرب لا يعرفون شيئاً عن نغماتى الشجية »
(اقبال)

لأبى النصر أحمد الحسينى الهندى

بدأ الدكتور يقول الشعر فى أول الأمر من نوع الغزل ثم باشر أنواع الشعر الأخرى مثل : « مثنوى » و « قصيدة » و « رباعى » و « قطعة » و « مسدس » فأجادها إجادة تخلب القلوب ، غير أن كمال شعره ليس فى هذه الأشكال والقيود الظاهرية ، بل فى ابتكار المعانى ، وإبداع البيان ، ودقة الفكر ، وسمو الخيال ، وحسن التركيب والتشبيه ، وقوة الكلام التى يشتمل عليها شعره . فأنت ترى كيف أن تلك الصفات أورثت التصوير حسناً ورونقاً فى قصيدته « الأمنية » التى طلب فيها من الله أن يخرجه من ضوضاء هذا العالم ويسكنه محلاً هادئاً ذا منظر بهيج . قال فى وصف ذلك المنظر :

« ... فلتكن (فى ذلك المحل) الأشجار مصطفة فى جانبين يرسم صورتها ماء النهر الصافى ، وليكن منظر الجبال فيه فتاناً إلى درجة أن يقوم الماء فى شكل الأمواج لرؤيته ، وعس الماء فرعُ الورد مائلاً كأن حسناء ترى وجهها فى المرآة ، وعندما تحنِّى الشمس عروس الليل تلبس الأزهار كساء ذهبياً مشرباً حمرةً . . . الخ »

وقال فى وصف الحباحب الطائرة ليلاً فى الحديقة :

« إن نور الحباحب يلمع فى معمورة الحديقة كأن الشمع منور فى محفل الأزهار ، أو نجمة قد جاءت طائرة من السماء ، أوشعاع القمر قد نفخ فيه الروح ، أوسفير النهار قد جاء فى سلطنة الليل فكان خاملا فى وطنه وبرز فى الغربة . أوزر قد وقع من قباء القمر أو ذرة قد ظهرت من قميص الشمس . إن فى هذا القمر الصغير نوراً وظلمة فكأنه يخرج من الخسوف حيناً ويدخل فيه حيناً ... الخ »

إن الدكتور إقبال ليس بشاعر فقط بل هو مفكر وفيلسوف أيضاً من الطراز الأول ، وهذا الأمر يزيد شعره حسناً وجمالاً

ورونقاً وكمالاً : فقد قال كوليريج الشاعر الفلق الناقد الأديب الانجليزى الشهير : « لم يكن ولن يكون أحد شاعراً كبيراً مجيداً بغير أن يكون فى نفس الوقت فيلسوفاً ومفكراً دقيقاً . لأن الشعر أرج علم الانسان وأفكاره وشعوره وعواطفه ولغته قاطبة . » فى الشعر يقدر الشاعر الفيلسوف أن يعالج أمراً من أمور الفلسفة الدقيقة ، وعر الملتمس منيع المطلب ببيت واحد ، فى حين أنه لا يقدر على معالجته بصفحات من النثر . فأنت ترى كيف أن إقبالاً بين لك فى بيت واحد فلسفة الحياة ، ثم نبهك على مواضع الضعف فيك ، وفى هذا التنبيه منه لك تحريض أيضاً على الأعراض عما أنت فيه قال :

حيات چيست جهان را أسير جان كردن
توخود - أسير جهانى كجاتوانى كرد
« ما هى الحياة ؟ هى أن تستأسر العالم لنفسك
(ولكن) مادمت أنت أسيراً للعالم فكيف يمكن لك ذلك »

وقال فى بيت آخر ما ترجمته :

« إن الحياة هى أن تخلق اللؤلؤ فى صدفك
وأن تنفذ فى قلب اللهيب ولا تذوب »

وقال فى فلسفة الحياة أيضاً مخاطباً قلبه ما ترجمته :

« أيها القلب تعلم من البرعوم سر الحياة ،
فان الحقيقة ليست بمحجوبة فى مجازه
فانه قد نبت من التربة المظلمة ،
ولكن نظره (دائماً) إلى شعاع الشمس »

يجيد الدكتور الانجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية والاردية ، ويعرف السنسكريتية والعربية أيضاً ، ويقول الشعر بالفارسية والاردية . وجميع مصنفاته التى ظهرت الى الآن هى كما يلى :

١ — مصنفاته شعراً :

١ — بانك درا (أى صوت الجرس) : وهو ديوان باللغة الاردية يحتوى على أنواع الشعر المختلفة من باكورة شعره

٢ — أسرار خودى (أى أسرار الأنانية) : وهو أول دواوينه باللغة الفارسية وشعره من نوع المثنوى . نشره فى سنة ١٩١٦ ، ويحتوى على مباحث إسلامية فلسفية دقيقة لتربية الأنانية . وقد ترجمه المستشرق الشهير الدكتور نكلسن الى اللغة الانجليزية

٣ — رموز بيخودى (أى رموز إنكار الأنانية) : وهو الديوان الثانى باللغة الفارسية وشعره من نوع المثنوى نشره فى سنة ١٩١٨ ، وهو كالتكملة للأول لتكوين الأنانية العليا وتربيتها

٤ — پيام مشرق (أى رسالة الشرق) : وهو ديوان باللغة الفارسية يحتوى على أنواع الشعر المختلفة ، نشره فى سنة ١٩٢٣ وقد صنفه رداً على « الديوان الغربى » للشاعر الفيلسوف الألمانى الشهير جوتيه . وقد ترجمه الدكتور نكلسن الى الانجليزية

٥ — زبور عجم : ديوان باللغة الفارسية وشعره من الأنواع المختلفة ، ويحتوى على أرق العواطف وأدق الأفكار الفلسفية . نشره فى سنة ١٩٢٦

٦ — جاويد نامه (أى كتاب جاويد) : وهو ديوان باللغة الفارسية نهج فيه الشاعر منهج فاوست لجوتيه ، ويحتوى على أدق الأفكار الفلسفية الاسلامية . وقد نسبه الى أصغر أبنائه المسمى « جاويد » . نشره فى سنة ١٩٣٢

٧ — مسافر : وهو ديوان صغير باللغة الفارسية ، شعره من نوع المثنوى ، يحتوى على ما جادت به قريحته حين سافر الى افغانستان تلبية لدعوة المغفور له جلالة الملك نادرشاه خان ملك افغانستان فى سنة ١٩٣٣

٨ — بال جبريل : ديوان باللغة الاردوية ، يشتمل على ما جادت به قريحته عند زيارته الآثار الاسلامية فى الأندلس ونشره سنة ١٩٣٥

٢ — مصنفاته نثراً :

١ — السياسة المدنية : صنفه باللغة الاردية وهو أول مصنفات الدكتور

٢ — تاريخ التقدم الفكرى فى بلاد إيران : وقد نال بتقديم هذا الكتاب شهادة الدكتوراه من ألمانيا

٣ — المحاضرات الست : وهى التى ألقاها فى الجامعات الهندية ، وتحتوى على فلسفة الالهيات الاسلامية

لقد طال بنا الحديث ونحب أن نختمه بكلمتين وجيزتين : منزلة شعر اقبال فى الهند : وصداه فى العالم ، فأما منزلة شعر اقبال فى الهند ، فلشعره رسالة ستعرفها حين نفرد لها مقلاً فى فى المستقبل إن شاء الله . والرسالة إذا قامت لا بد أن تجذب ما حولها الى نفسها كذلك شعر اقبال ، ولا يتسع المجال هنا لأن

نستقصى رأى جميع طبقات الهيئة الاجتماعية الهنـدية فى شعر اقبال لابانة جاذبيته ومنزلته . وإنما نكتفى برأى طبقة الشعراء لأنهم أدرى بحقيقة فنه ودقائقه

إن الشعراء فى الهند كثيرون فمنهم من يجيد الشعر بالأردية ومنهم من ينشئه بالفارسية ، ومنهم من يتقنه بالاثنتين ، ولكن إقبالاً أسبقهم غير مدافع ، وأفضلهم غير معارض ، ولشعره بينهم القدح المعلى ، فقد اتفقوا جميعاً على أنه هو شهابهم الساطع ، وبدرهم الطالع ولقبوه « بترجمان حقيقت » (أى المعبر عن الحقائق) وقد شدا غير واحد منهم ناشراً طراز محاسنه فى المجالس ، وناثراً لآلئ وصـــفه فى المحافل بالأبيات والقصائد نقتطف بعضها هنا . قال مولانا غلام قادر گرامى [1] وهو من كبار شعراء الهند ويقول الشعر بالفارسية :

در ديده معنى نگهان حضرت إقبال
پيغمبرى كردو پيمبر نتوان گفت

« إن فى رأى أرباب النظر قد قام حضرة
إقبال بعمل النبوة ولا يمكن أن يقال له نبى »

وقال الشاعر فكار — وهو من مسقط رأس إقبال ويقول الشعر بالفارسية والأردية — وهذه ترجمته :

« إنك قد جئت بكأس من الحانة القديمة وبنغمة داودية من وتر الرباب »

« يا طبيب روح الأمة ! أنت قد جئت بعهد الشباب فى دين ابراهيم بدواء الفلسفة »

« وقد كشفت عن نفسك بواسطة (رموز إنكار الأنانية [2]) يا أبا الحكمة أنت قد جئت بالنهر من السراب »

وقال السيد بشير أحمد اخگر ـ وهو من كبار الشعراء باللغة الأردية ـ وهذه ترجمته :

« إن وجودك لى سبب الحياة . إن أسرار أنانيتك [3] لى باعث زيادة الهمة »

(١) توفى رحمه الله فى سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وكان من عشاق شعر إقبال . فلما قرب من الموت كان يردد هذا البيت على لسانه :

صبابه بحضرت إقبال اين پيامم ده
كه رفت جان گرامى وتوهنوز خموش
أيتها الريح بلغى رسالتى هذه الى حضرة اقبال ان
روح گرامى قد طارت وأنت لازلت ساكتاً

(٢) اسم لديوان اقبال (٣) اسمان لديوان اقبال

« إن رموز (إنكار الأنانية [1]) قد حل العقد . إن (صوت الجرس [2]) قد أصبح لى دليل الطريق »

« إن روح (غالب [3]) وحنو (مير [4]) فى قلبك يا إقبال إن حسن ليلى الشعر يخفى فى محملك [5] هذا »

أما صدى شعر إقبال فى العالم ، فلشعر إقبال فى أفغانستان مرتبة لا يشق غبارها وعزة لا يدرك شأوها ، إذ لا تقام حفلة من حفلات الحكومة إلا وتهز فيه فرق الموسيقى الحكومية قلوب الحاضرين بأناشيد إقبال وبخاصة « نشيد المسلم » منها . وقد نشر أقا هادى حسن وزير التجارة مقالات فى شعر إقبال . وبخاصة عن ديوانه « رسالة الشرق » فى مجلة « أمان أفغان » التى تصدر بكابل

ولم تأل الجرائد والمجلات فى ايران تنويهاً بشعر اقبال ، كما أن أهل العلم والأدب فيها يحيطون به خبراً ، ويثنون عليه أطيب الثناء

وفى تركيا ترجم كثيراً من شعر اقبال إلى اللغة التركية الكاتب المفكر الكبير حسين دانش ، وكتب مقالات عديدة عن ديوانه « رسالة الشرق » وبسط نظرياته فيها

وسافر أحد علماء روسيا إلى الهند ليلتقى بالدكتور اقبال فقط ، ثم نقل إلى اللغة الروسية نظريات الدكتور التى فى ديوانه « أسرار الأنانية »

وفى مصر نشر غير مرة صديقنا المفضال الدكتور عبدالوهاب عزام ترجمة بعض المقتطفات من شعر اقبال

وفى ألمانيا ترجم الأستاذ دايشو روسو مقدمة ديوانه « رسالة الشرق » إلى اللغة الألمانية ، كما أن الدكتور فيشر الأستاذ بجامعة ليبزيج وصاحب مجلة « اسلاميكا » كتب مقالات عن الديوان « رسالة الشرق » ، وقارن فيها شعر اقبال بشعر الشاعر الألمانى الشهير جوتيه ، وترجم الشاعر الفيلسوف الألمانى هانسى مائنيكه قطعة من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الألمانية ثم كتبها بيده وجلدها تجليداً جميلاً على الطراز الشرقى موشى بالذهب والفضة أهداها إلى الدكتور اقبال تقديراً لشعره واظهاراً لحسن اعتقاده فيه . وقد أنشئت أخيراً جمعية باسم اقبال لتعريف شعره ونشر مبادئه فى ألمانيا . وتترجم فى ألمانيا الآن محاضرات الدكتور

(١) اسم لديوان اقبال (٢) اسمان لديوان اقبال

(٣) غالب كان رأس شعراء اللغة الأردية ، فهو بمثابة شكسبير وجوته بالأردية (٤) ميركا أحد كبار شعراء اللغة الأردية

(٥) يريد به قلبه

الذى ألقاها فى الجامعات الهندية فى فلسفة الالـهيات إلى اللغة الألمانية

وفى ايطاليا نشر العالم الطليانى الكبير الدكتور اسكاريا الذى زار أفغانستان والهند وقابل الدكتور اقبال مقالات عن شعر اقبال فى مجلة أدبية ايطالية

وفى انجلترا ترجم الدكتور نكلسون ديوانه « أسرار الأنانية » وجزأ من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الانجليزية ونشرهما فذاع بهما صيت الدكتور فى أمريكا وبلاد أخرى أيضاً ، ونوهت أندية العلم والأدب والجرائد والمجلات العلمية والأدبية بشعره ، وكتب عن « أسرار الأنانية » المرحوم الدكتور براون المستشرق الانجليزى الشهير فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، وأيضاً نوه باقبال وشعره فى تصنيفه تاريخ الأدب الفارسى فى المجلد الرابع منه

وفى أمريكا صنف العالم الأمريكى الجليل ميكنزى كتاباً أسماه « يقظة الهند » فنوه فيه باقبال وشعره ونظرياته وفلسفته

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

فى الأدب الانجليزى

الكائنات الغيبية

فى شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيرى حماد

مقدمة :

لا شك فى أن عبقرية شكسبير ظهرت فى مناحى عدة وصور مختلفة ، وليس من السهل على أى شخص مهما كانت نزعته ومهما تباينت عقليته أن ينكر أن شكسبير هو شاعر بريطانيا الأعظم وكبير من كبار الشعراء العالميين ، ولكن ويا للأسف اختلف النقاد فى انكلترا وفى غيرها من بلدان العالم فى تحديد الدرجة الممتازة التى وصل إليها هذا الشاعر . فاعتبره البعض أعظم شاعر بزغ نجمه على هـذه البسيطة لا فى عصره فحسب ، بل فى العصور التى سبقته أو تلته . وأنكر البعض الآخر هذا الادعاء وتحاملوا عليه تحاملاً ظاهراً ، معتقدين أن عظمته لا تفوق فى أية ناحية من نواحيها عظمة جوتى الألمانى ودانتى الايطالى

إن من الصعب أن أبرهن فى هذه المجالة على عظمة شكسبير وتبرزه على غيره من شعراء العالم ، ولم أقصد فيها إلا البحث فى ناحية واحـدة من مناحى تفكيره العميق وخياله المبدع الذى تناول بواسطته جميع نواحى الحياة من عقائد وتقاليد فدونها فى شعره ورواياته . نعم كان من الصعب عليه أن يوفق بين عقائده الشخصية وبين عقائد مجتمعه البشرى ، ولكنه خرج من هذا الميدان مكللاً بأكاليل من الغار وتيجان من الظفر

لم تكن الخرافات والغيبيات (Supernaturalism) عقيـدة راسخة فى تفكير شاعرنا ؛ فقـد كان دائم الاضطراب والشك فى هذه الناحية من مناحى الغموض والخفاء العقليين . لقد حاول فى رواياته أن يبتعد عن العقائد الشائعة العامة ، ولكنه لم يستطع ذلك لتخوفه من الرأى العام السائد فى تلك الأيام الرهيبة

عقائده الدينية :

ولد شكسبير سنة ١٥٦٤ إبان الدور الأول من حكم الملكة اليصابات فى عصر اشتد فيه النزاع الدينى واختلفت فيه العقائد ، حتى أصبحت مصدر شقاء وينبوع استبداد ساد انكلترا قرناً من الزمان . ولنراجع فى الفقرات التالية صفحات التاريخ فنرى كيف انتشرت البروتستنتية فى انكلترا ، وبأية صورة كان نشوؤها وتطورها

كلنا يعرف أن الملك هنرى الثامن أراد طلاق امرأته الاسبانية كاترين لعشقه غادة من غادات البلاط ، كانوا يسمونها (آن بولين) ولم يكن فى الامكان فى ذلك العصر تحقيق تلك الرغبة الجامحة ، فما وسع هنرى إلا أن يحدث نزاعاً اشتد أمره مع رئيس الكنيسة الأعلى وحامى حماها فى الشرق والغرب . طغت عليـه الروح الاستبدادية روح العظمة والتفوق ، فحدثته نفسه بالانفصال عن كنيسة رومة ، ولم يلبث أن أعلن ذلك الانفصال ونصّب نفسه رئيساً أعلى للكنيسة الانكليزية

ولم تكن هذه الحركة فى بدء أمرها إلا حركة سياسية محضة لم يشبها شائب من الدين والعقـائد ، ولكن ما لبث أن فارق هنرى دنياه ونصّب ولده الطفل أدورد ملكاً على عرش بريطانيا ، فكان له من الأنصـار والمساعدين نفر اشبعت نفوسهم بروح البروتستنتية فأعلنوا أن الكنيسة الانكليزية قد غدت منفصلة

تمام الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية ووضعوا كتابين من كتب الصلاة ليقرأ فى الكنائس بدلاً من الكتب القديمة

حركة جريئة أعقبتها فترة إحجام ورد فعل . مات إدورد فتبوأت مارى تيودور العرش ، وكان لتربيتها الكاثوليكية أثر عظيم فى نفسها مالبث أن دفعها للاعلان عن فساد جميع القوانين التى ظهرت فى عهد سلفها ، وعن رجوع الكنيسة الانكليزية إلى الحظيرة الكاثوليكية . ولتحقيق تلك الرغبة فى نفسها سنت قانوناً تحتم فيه على كل قس أوراهب أن يرجع إلى الحظيرة القديمة وإلا كان جزاؤه الموت والعذاب

أخيراً انتقلت تلك الملكة الغاشمة إلى جوار ربها وارتقت اليصابات العرش . ونظراً لروحها الاستقلالية وليماها إلى الطموح والعظمة لم تلبث أن أعلنت بعد مرور سنة من تسنمها العرش . الانفصال التام عن الكنيسة البابوية وتنصيبها نفسها رئيسة عليا للكنيسة الانجليزية

لو أتيح لنا الاطلاع على كثير من الرسائل الشخصية التى كتبها الشاعر العظيم لأصدقائه وأخدانه لأمكننا الوقوف على عقائده وأفكاره الدينية ، هناك أمور عدة تحملنا على الاعتقاد بأن شكسبير كان رجلاً ديناً خيراً ، ولكن حرية فكره كانت سبباً دائماً فى انشغاله بأسئلة لا حد لها عن الموت والحياة غير متأثر بالعقائد الدينية السائدة فى عصره . كان والده بروتستنتياً متطرفاً ، فلا بدع أن نراه متأثراً أثر والده ، متحاملاً على البابوية والكثلكة أشد التحامل وأقساه . وبرغم هذا التحامل الظاهر فان الكنيسة البابوية ادعته فى كثير من الظروف والأحيان ابناً باراً من أبنائها وعلماً من أبرز أعلامها . واستندوا فى إدعاءاتهم هذه على كثير من البراهين والحجج التى إن لم تكن ضعيفة فى حد ذاتها ، فلا تصل إلى تلك الدرجة من الاقناع التى يتوخونها ويطلبونها

قد نستطيع من دراستنا لروايات هذا الشاعر أن نحدد العقائد التى كان يؤمن بها . فلقد صور فى هذه الروايات عدداً كبيراً من رجال الدين أمثال الراهب فرنسيس والراهب لورنس ، وكان فى كل صورة من أمثال هذه الصور يتوخى التبجيل والاحترام لرجال الأكليروس . إلا أن هذه النظرة وهذا الاحترام لم يتجاوزا طبقة الرهبان إلى طبقة البابوات ؛ فروايته التاريخية التى تتناول سيرة الملك يوحنا (King John) تعد فى حد ذاتها أكثر الروايات تحاملاً على البابوية والكثلكة . وعلى الرغم من ازدياد نفوذ البابوية فى هذه الأيام وتفوقها على السلطة الزمنية نرى عدداً قليلاً من الملوك يضربون بسلطتها عرض الحائط ويحاولون نزع نير العبودية عن عواتقهم ، فكثيراً ما تعرضوا لوكلاء البابا وممثليه وأفحشوا لهم القول غير هيابين ولا وجلين . دعنا نعرض الأقوال الجريئة التى فاه بها الملك يوحنا مجيباً على تدخل البابا فى مسائل سياسية لا تعنيه شيئاً فهو يقول :

هل يمكن لأى رجل دنيوى مهما علت سلطته وارتفعت منزلته أن يعارض إرادة الملوك المقدسة ؟ فليس باستطاعتك أيها الكردينال أن تضطرنى إلى إطاعة رجل حقير لايسعنى إلا الاستهزاء به . اذهب إلى سيدك البابا وأخبره ما أسمعتك من قارص الكلم وزد على ذلك أن ليس لأى قسيس إيطالى أن يتدخل فى المسائل الانكليزية ، ومادمنا بمشيئة الله وإرادته قد وُجدنا رؤساء لهذه الأمة فلنا الحق وحدنا فى السير بها حسبما نشاء ونرغب دون أية مساعدة من إنسان . قل له إن ذلك الاحترام وإن تلك السلطة الغاشمة قد تقاص ظلهما منذ مدة » (١)

وفى خطاب آخر من نفس الرواية يعدد الملك يوحنا المساوئ الكثيرة التى كانت الكنيسة تتصف بها فى هذه العصور . فالبابا أصبح رجلاً مأجوراً يمكن للملوك أن يستخدموه إذا رشوه بالكثير من الأموال ، فليس من واجب الملوك أن يطيعوا رجلاً كهذا الرجل ، وهذه النظرية تتبين لنا فى مواضع عدة من روايات شكسبير فهو يتخذ من البابا أداة للسخرية والهزء فى رواية تيتس أندرونيكس (Titus Andronicus) إذ يقول :

« إنى لأعلم تمام العلم أنك رجل وفى ورع تحمل بين جنبيك نفساً طاهرة وضميراً حياً ، وأن لك حيلاً تماثل الحيل العديدة التى يتبعها البابا فى بسط نفوذه وجمع ثروته » (٢)

يتبع

خيرى حماد

(1) King John . Act . III . Sc. I . 147 — 160
(2) Titus Andronicus V . I . 74 — 78

فن الحيـــاة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقدمة :

إن للانسان فى الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع ، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه ، فاذا عدم هذه النشوة صعب عليه أن يسوغ الحياة وأن يلتذها ، ولا يمنع عده الحياة فنا جميلا من نقدها أو الرغبة فى إصلاحها ، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن ؛ وكذلك لا تمنع الرغبة فى إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر فلا يكرهها من أجل تمثيلها الشر ، وهذا خير من أن يظل يبكى ويندب لأن نمر الشر الذى فى كل نفس لم يتحول هرة وديعة كالتى تراها فى المنازل ، وهو لو تحول ما تجاوز أصله ولا فصيلته ، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة « الناظم »

أيا حسن هذا العيش لو كان قصة ... يُسَرُّ بها سارى الورى وهو يسمرُ
على ما بها من ضجة بين شقوة ... وكم عاشق للنقص يهوى ويُنكر
فليت الفتى يبدو له صرف عيشه ... كعيش غريبٍ قصةً تُتَدَبَّرُ
ويا رُبَّ مأساة إذا ما بدت له ... تُمَثَّلُ إنْ يحزن لها فهو يصبر
وفى فنها ملهى وحسن وسلوة ... ولولا فنون العيش ما كان يُعذَر
وان كان رب الناس يقضى اقتتالهم ... فما شأن مثلى وهو أعلى وأقدَر
وماقَصَّرَت بى رغبةٌ عن محاسن ... أريد لها عيشاً سوى العيش يُقْدَر
حياة كحسناء المسارح شرها ... إذا ما حكته عاد بالفن يبهر
ممثلة حسناء كم مثلت أذًى ... وغدراً أجادت فنها وهى تغدر
فما زادها إلا بهاءً وحظوةً ... لدى عاشقيها وهى بالفن تأسر
تَمَلَّيْتَهَا لما ولعتَ بفنها ... ولولاه تُزْرِى بالحياة فَتَكْدُر
حنانيك إن العيش فن فلا تُرَع ... وان ناب خطب فهو تَحَكٍّ وتَخَبُّرَ
تُعَانُ بهذا الرأى إن كنت قادراً ... وان أمكن الاصلاح لم تَكُ تَقْصُر
يمثل كلٌّ دوره فى حياته ... فإنْ راق فن فهو شأوٌ ومَظهر
أإنْ نَمِرٌ فى النفس لم يُمْسِ هِرَّةً ... تظل على الاسقام تبكى وتسخر
وما نَمِرٌ عن هِرَّةٍ بِمُبَاعَدٍ ... ويطغى وديعٌ حين يبغى ويقدرُ

عبد الرحمن شكرى

كأس تفيض

للاستاذ محمود غنيم

لكَ اللهُ لا تشكو ولا تتبرَّمُ ... فؤادكَ فيَّاضٌ وثغرك مُلجَمُ
يفيض لسانُ المرء إن ضاق صدرُه ... ويطفحُ زيتُ الكيل والكيلُ مفعَم
وهل يُطبق العصفورُ فاهُ على الشجى ... ويمتلئُ الحاكى فلا يترنَّمُ ؟
تعاليتُ دهراً بالمنى فاذا بها ... قواريرُ من مسِّ الصَّبا تتحطَّمُ
لعمرك ما أدرى على أىِّ منطق ... أُشاهدُ فى مصرَ الحظوظَ تقسَّمُ
حملنا على الأقدار وهى بريئة ... وقلنا : هى الأقدارُ تُعطى وتَحرِم
فمن يكُ ذا قُرْبى وصهرٍ فاننى ... بمصرَ وحيدٌ لا شقيقٌ ولا حَمِ
فلا غروَ أنى قد سكنتُ بأرضها ... كما سكنت أهرامُها والمقطَّم
وقفت مكانى لا أَرِيم وإخْمَصى ... على الشوك من طول السُّرَى تتورَّم
كأنى إطارٌ دائرٌ حولَ محور ... يسير بلا بطء ولا يتقدَّم
وما أنا ممن تخطئُ العينُ مثلَه ... ولكن تعامى القومُ عَنِّىَ أو عَمُوا

* * *

أيذوِى شبابى بين جدران قرية ... يباب كأنَّ الصمتَ فيها مخيِّم
أكادُ من الصمت الذى هو شاملى ... إذا حُسِبَ الأحياءُ لم أكُ منهمُ
وعاشرتُ أهليها سنين وإننى ... غريبٌ بأحساسى وروحىَ عنهمُ
يقولون : خضراءُ المرابع نضرةٌ ... فقلتُ : هبوها لستُ شاةً تسوَّمُ
على رسلكم إنى أقيمُ بقفرةٍ ... يجوز على الأحياءِ فيها الترحُّم
سئمتُ بها لوناً من العيش واحداً ... فدارِى بها دارى وصحبى همُ همُ
حياةٌ كسطح الماء والماءُ راكدٌ ... فليس بها شىءٌ يَسُرُّ ويُؤلم
وما أبتغى إلا حياةً عنيفةً ... تسرّ فأرضى أو تسوء فأنقِم
حياةٌ كلجِّ البحر والبحرُ زاخرٌ ... تُدَوِّى بها الأنواءُ والرعد يهزِم
حياةٌ بها جِدٌّ ولهوٌ ، بها رضاً ... وسُخْطٌ ، لها طعمان : شهدٌ وعلقم
فمن مبلغٌ بنت المعز بأن لى ... فؤاداً عليها كالطيور يحوِّم ؟

وأنىَ من سبعٍ خلَوْنَ محافظٌ — على العهد إن خان العهودَ متيَّم
فان تجفنى مصرٌ فحسبىَ أننى — أحُج إليها كلَّ عام وأُحرم

* * *

حنانيك إنى قد برمتُ بفتيةٍ — أروحُ وأغدو كلَّ يومٍ إليهمُ
صغارٌ نربيهم بمثل عقولهم — ونبنيهمو لـكنَّنا نتهـدَّم
لأوشِكُ أن أرتدَّ طفلاً لطولِ ما — أُمثّل دورَ الطفل بين يديهمُ
فصولٌ بدأناها وسوف نعيدها — دواليكَ ، واللحنُ المكرَّرُ يُسأم
وما كنت أعْنَى بالنتيجة طالباً — فصرت بها فى هدأة الليلِ أحلُم
فمن كان يرثى قلبُه لمعذَّبٍ — فأجدر شخصٍ بالرثاء المعلِّم
على كتفيهِ يبلغُ المجدَ غيرُهُ — فما هو إلا للتسلُّق سُلَّمُ
وَدِدْتُ لوَ أنّى عدت للدرس ناشئاً — أسيرُ وفى يمناى لوحٌ ومرقم

* * *

يقولون : منطيقٌ أغرُّ بيانُه — فقلت لهم : لـكنَّ حظِّىَ أبكم
أرى الحظ مُنقاداً لـكل مهرِّج — فأما على الأكفاء فهْو مُحرَّم
يفوز به من يقطع السُّبْل مُلحفاً — ويغشى بيوتَ الناس والناسُ نوَّم
ورُبَّ أمورٍ يخجل الحرَّ ذكرُها — وبعضُ الذى يُروَى عن الناس يُكتم
وكائن ترى الحرَّ الأبيَّ نفسُه — يضيع له حقٌّ وآخرُ يُهضم
فياليتنى أغضيتُ جفنى على القذَى — وعلَّمت نفسى بعضَ ماليس تَعلم
فلو أن نفسى طاوعتنى فرضتها — على الهوْن لم أخسَرْ وغيرى يغنم
ألا فليسُدْ من شاء حسبىَ أننى — ضَنَنْتُ بماء الوجه حين تكرَّموا
نظمتُ فما أطريت غيرى تزلُّفا — ولـكن لنفسى لا لغيرىَ أنظم
ولم أتغزَّل فى الـكرام وفضلهم — وغيرى بهم لا بالـكواعب مُغرم
وإنى لمغبونٌ إذا صرتُ قيصراً — وطوِّق بالنعماء جيدىَ منعم

(كوم حماده) — محمود غنيم

الجامعة الأمريكية والصحافة

تفتتح الجامعة الأمريكية بالقاهرة أبوابها هذا العام عن قسم خاص بالصحافة ، على نحو ما تعنى به الجامعات الأوربية والأمريكية لاعداد طالب الصحافة اعدادا جامعيا دقيقاً يتناول دراسة اللغات وعلوم الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والتاريخ والفلسفة والعلوم السياسية ونظام الحكومات والتربية المقارنة ، وكذلك الفنون المرتبطة بمزاولة العمل الصحفى فى نواحيه جميعاً كالأسلوب ، وتحرير المقال ، والتصحيح ، ومهمة الأخبار ، والتبويب وما اليها

وتبدو مهمة الجامعة الأمريكية فى هذا الباب عظيمة الشأن ، شأنها فى عديد من أقسامها الأخرى كقسم المعلمين والقسم الاعدادى ، واضطلاعها بمسائل الطالب الحيوية واعداده للحياة كما يجب أن يحيا . ولـكن طالب الصحافة الجامعى وعناية الجامعة الأمريكية به وتمثل هذا النوع من التعليم فى مصر أو فى الشرق على وجه العموم يكون له من عظم الشأن ما يجعله فى مركز ممتاز دونه فى المعاهد الأخرى نظراً لاعتبارات خاصة لها من الأهمية هى الأخرى ما لها ، لأنه :

أولا : مركز مصر من الشرق فى مقام الزعيمة لايسمح بأن يدانيها بلد آخر فى مضمار الصحافة أو العناية بدراستها

ثانياً : جعل تعليم الصحافة بنوع خاص فى دائرة حرة بعيداً عن الادارة الحكومية والضغط السياسى

ثالثاً : الشعور السائد الذى يتناوب القراء والصحف ، شعور بالحاجة الى توسيع المعارف والمعارف الصحفية وتكثير نسلها

رابعاً : فتح أبواب جديدة أمام طلبة التعليم العالى فى مصر والشرق بعد أن ضاقت بهم صناعات ووظائف أخرى كالمحاماة والطب والهندسة وغيرها

خامساً : تغذية الصحف بعنصر صالح لادارة أعمالها بمهارة ولباقة ، فضلاً عن أن الصحف تعتبر أداة هامة فى نشر المعارف وفتق الأذهان وخدمة الوطنية ، وملاحظة مثل هذه الاعتبارات مجتمعة أو منفردة لما يجعل للجامعة الأمريكية أولاً وأخيراً حق السبق وحق العناية فيما لو فكرت حكومة فى الشرق فى مثل هذا النوع من التعليم ، وإن كان ذلك ، وإنه ، فما هو باليوم البعيد الذى نرى فيه الصحفى الأمريكى بمعنى الكلمة أول ثمار الجامعة الأمريكية فى مصر والشرق ؟

ا . ت

فصول ملخصة فى الفلسفة الالمانية

٢٢ - تطور الحركة الفلسفية فى المانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

بين اليهود نشأت ذرية الكهان ، وبينهم هبت ثورة العبيد ، واندلعت نيرانها على المبادئ الأرستقراطية . نقموا على المبادئ القائلة بأن الصالح والشريف والقوى والجميل والسعيد هم الذين تحبهم الآلهة ، وعملوا على دحضها بمنطق قوى . قالوا إن الضعفاء والعجزة والأشقياء والبؤساء هم الصالحون وحدهم ... وإن المتألمين والتعساء والمرضى والقبيحين هم وحدهم المقربون إلى الله ، ولهم وحدهم أعدت مساكن النعيم . أما النبلاء والجبارون الأقوياء فهم الجاحدون القاسون ، وهم فى تلك الدار المخذولون والأشقون

جاءت المسيحية فورثت عن اليهودية هذا الميراث . وأكمل الكاهن المسيحى ما بشر به الكاهن اليهودى . وها غبرت عشرون قرناً وهو الظافر المنتصر . فكان أول مشهد من ذلك الانقلاب مسألة النفس والارادة الحرة المختارة . وفى الحقيقة لا نفس منسلخة عن جسد ، ولا وجود للارادة الحرة ، وقد تكون إرادة بلا حرية ولا اختيار . وإنما هنالك إرادات قوية تقوم بأعمال ذات قيمة ، وإرادات ضعيفة عملها ضئيل ، آراء كالرعد يقصف ، هى فى الحقيقة فكرة واحدة ترتدى أثواباً مختلفة . فالرعد ليس بشىء ذاتى يقدر على القصف وعلى غير القصف . إنه رعد حين يقصف ؛ كذلك شأن مجموعة القوات المتجلية فى الرجل القوى لا تبدو ولا تظهر إلا بهذه المظاهر . والعقل الشعبى استطاع بوساطة الافتراض الاختيارى أن يفرق بين الكائن والحادث وبين الارادة ومظاهرها ، وافترض أن وراء أعمال البشر ووراء ما تأتيه إرادة القوة كائناً أو نفساً هى علة هذه الأعمال . وهذه النفس هى جوهر حر يظهر كيفما يشاء ، ويعمل كما يشاء . وهذا الذى تتلوه « حراً مختاراً » أصبح العبد يساويه بالسيد ، بل يجعله متفوقاً عليه . وهكذا أصبحت قيمة الفرد لا تتوقف على ما يتكون فيه من مجموعة قواته . وبذا زال عندهم تفضيل القوى على الضعيف بفضل منطقهم « لأن القوى يعمل بحسب قواه وهو خاطئ ، لأن عمله بحسب قواه عمل سيئ . والضعيف يعمل بحسب ضعفه وهو ذو حق ، لأن عمله بضعف عمل حسن . فالضعيف إذن هو خير من القوى » ويصف نيتشه وصفاً مؤثراً تلك العوامل التى لجأ إليها العبيد الذين تغلى صدورهم غيظاً وموجدة ، ليحطوا من قدر الأسياد ، وليحولوا أنفسهم الى شهداء وقديسين

هذا هو المثل الأعلى للعبد . فهو يحيا بتلك الدعوات المزية التى ابتدعها . ولكن أثقال ضعفه الراسية على ظهره لينوء بحملها فيتألم ويشكو ويتململ ، فيجئ الكاهن لا ليبرئه من دائه ، ولا ليقطع أسبابه كما يصنع الطبيب . يجئ لينسى الصابر ما يحسه من ألم وشقاء ، وليبث فيه « مواد مخدرة » ترقد الألم ولا تمحوه . يغنى مريضه ويعطيه مادة تضعف فيه القوة الحيوية والعقلية يُلقى الزهد والتقشف والبلاهة فى نفسه وجسده خدراً إلى حين ، فيذهل عن ألمه بل يوشك أن ينفك عن كل إحساس فيه . فيغدو هذا الرجل المنحط « قديساً » ، وقد يحيط الكاهن بالرجل فيجعل منه آلة تستغرق كل انتباهه وتجعل منه شيئاً يتحرك بذاته ، ويصرفه عن التأمل فى نفسه والتفكير فيها ، ويلهيه بالانكباب على بهجة حقيرة يُسهل عليه نيلها محبة القريب والمحبة والمساعدة المتبادلة ، ثم يعمل الكاهنَ على أن يصرف « قطعانه المريضة » عن آلامهم الذاتية

وإزاء هذه العوامل التى اختلقها عوامل أخرى ابتدعها لمصلحته الخاصة . عوامل خطرة مؤثرة ، تنطوى على سموم تنسى المتألم آلامه وتفني فيه قوته الحيوية . وهذا السم هو « الايمان بالخطيئة »

أما أصل الخطيئة فسببه دافعان ولدا اختياراً فى قلب الانسانية . وهما الضمير الفاسد ، والايمان بدين مكتوب على الانسان لله . والضمير الفاسد - عند نيتشه - هو نتيجة تشويش فى النفس عميق . تسيطر على الانسان يوم كان وحشاً معتزلاً ، ثم انقلب عضواً رئيسياً فى قطيع الأحياء ، والحكومة هل هى

إلا - كما يحتمل الذهن - ظلم مرعب فرضه الأقوياء على الضعفاء ، وفجأة وجد المغلوبون على أمرهم أن أسباب الوجود عندهم مقلوبة رأساً على عقب ، وألفوا أنهم أصبحوا لا يستطيعون أن يتبعوا بحرية واختيار تلك الغريزة الطبيعية التى كانت تسوقهم . فظلوا يبذلون جهودهم بينهم وبين أنفسهم ليقودوا أنفسهم بفطنة ، ويضغطون على إرادتهم خشية أن تجازف بالاساءة إلى الأسياد ، ويعملون بتعقل وتأمل . ولكن هذه الغرائز هى جزء من قوة لابد لها أن تبدو مظاهرها وآثارها . فاذا كتب على هذه القوة أن يضغط عليها حيناً حتى لا تخرج عن نفسها بأى دافع ما ، فهى ولا بد مستحيلة إلى قوة خفية تعمل عملها فى الباطن . ويمثل هذا التبدل وعلى مثل هذا التحول وُلد « الضمير الفاسد » . فهو وليد هذا الضغط الباطنى الذى تصير عليه الغريزة الطبيعية فى الانسان . وهو كالوحش السجين الذى عضته الوحشة ونازعه حنينه إلى العرين والحرية والصحراء ، ينهش جسمه بين قضبان القفص . كذلك الانسان الابتدائى الأهلى السجين يتألم بنفسه ، وغريزة الحياة الكامنة فيه المقيدة بمظاهرها الخارجية أمست تبدو بحالة هيجان باطنى

وفكرة الدّين المكتوب لله على الانسان هى فكرة قديمة مترددة فى الشرائع القديمة . ففى العصور الأولى كانت كل قبيلة تؤمن بأنها مدينة بخيراتها الحاضرة للذريات السابقة . وأن الأجداد الذين قضوا يصيرون بعد الموت أرواحاً قوية تتابع تأثيرها فى الأحياء وتواصل إحسانها اليهم . ولكن كل إحسان لابد أن يُبذَل ثمنه . وهكذا تولد فى عقول الناس أنهم مدينون بشىء لآبائهم وأجدادهم . وهم مضطرون إلى تقديم الضحايا لهم جزاء وفاقاً على دفعهم للأذى والضر عنهم . ومن هنا نشأت عبادة الأجداد فى فجر كل مدنية ، ثم تطورت هذه العبادة قليلاً قليلاً . فالاحترام الذى كان يكنه الانسان لأجداده جميعاً مافتئ ينقبض حتى ارتكز فى الجد الأصلى للسلالة ، ثم نزل هذا الجد بدوره منزلة الآله . وكلما كان الآله قوياً مخيفاً كان شعبه الذى يجله ويعبده أكثر فلاحاً وتقدماً ، وفى الظروف التى تنمو فيها عظمة الآله ينمو أيضاً الشعور بذلك الدين المفروض فى سبيل احترامه وتزداد خشية الانسان من قصوره فى العمل لربه .

وبوساطة هذا المنطق ألفينا أن عاطفة خضوع الانسان لله بلغت الدرجة القصوى يوم ظفر إله المسيحية بالأوثان . ودانت له الأرباب وعسكر فى مناطق بارزة من أوروبا . فآمن الانسان إذ ذاك بأن الدين قد تضخم . حتى أصبح أجلّ من أن يُوفَى . وجد نفسه أنه مَدين عاجز لا يملك شيئاً والدائن هو الله . فهو والحالة هذه هدف للقصاص الفظيع . والانسان فى شدته هذه يحرى عن وسائل كثيرة ليطرح عن ظهره هذا الدّين الثقيل . فلام الانسان الأول الذى استحق لعنة الآله . فابتدع « الخطيئة الأصلية » وجرم الطبيعة ، وأنكر الغرائز الكامنة فيه ، ونظر إليها كجرائم شر وشقاء ، ولعن الوجود نفسه . وجعل رجاءه كله فى العدم وفى حياة ثانية . وفى النهاية أعطى المسألة التى ناء بها ظهره طويلاً هذا الحل الغريب ، إن الدين المفروض على الانسان من قبل الله هو دين لن يقدر على أدائه الانسان ، والآله وحده يفى عن الآله . فوجد الآله أن يضحى بنفسه فى سبيل حبه للانسان واستنقاذه من دين مكتوب عليه . فتمثل إنساناً وقرّب نفسه قرباناً . وبهذا الفصل الذى أدّاه اشترى نفوس الذين يراهم جديرين برحمته ورأفته

يتبع خليل هنداوى

الليسيه فرنسيه

القسم المصرى

إجابة لرغبة العائلات المصرية الكريمة قررت إدارة الليسيه إنشاء قسم مصرى ممتاز تدرس فيه جميع مواد الثقافة العربية والثقافة الفرنسية بطريقة تمكن التلميذ المجتهد من الحصول على البكالوريا المصرية والبكالوريا الفرنسية فى وقت واحد وتفتح أمامه أبواب الجامعة المصرية وأبواب جامعة باريس

وقد أعدت الليسيه جميع المعدات لهذا القسم المصرى الممتاز وستبدأ الدراسة فى أول أكتوبر ويستطيع آباء التلاميذ أن يطلبوا ما يهمهم من البيانات منذ الآن من جناب مدير الليسيه من ١٠ — ١٢ صباحاً ومن ٥ — ٧ مساء بمكتبه فى الليسيه بشارع الحوايانى رقم ٤

القصص

صور من هوميروس

٧ - حروب طروادة
الفدائى الأول
للأستاذ دريني خشبة

رَوِيَت الآلهة إذن وشفت ما فى أنفسها من ظمأ الى دماء الضحايا ، وإن لم تغفر لديانا البارة ، ديانا ربة القمر ، انقاذها للفتاة التعسة إفجنيا ، وهى على قاب قوسين من خناجر الكهنة والرَّبِّيين القُساة

لقد أبت الآلهة إلا أن تشرب من ماء الحياة القرمزى المتدفق فى عروق عُبَّادها المخلصين من أبناء هيلاس ؛ فلما ذهب كالخاس ، عرّاف الحملة ، يستوحى أربابه فى معبد دلفى هل لها مطلب آخر فى ضحية أو قربان بعد تقدمة إفجنيا ، ارتفع الصوت الخافت المنبعث من صميم مقصورة الإلـه الأكبر يقول : « لا .... ولكم أن تقلعوا اليوم .... فاذا كنتم عند شطئان طروادة ، فان لنا دم الفارس الأول الذى تطأ قدماه رمال الشاطئ ... سيقتل ، وسيكون لنا عِوَض من إفجنيا ! »

***

ودعا اليه أبناءه (1) ايولوس رب الرياح الست فأمرهم أن يكونوا جميعاً فى خدمة الأسطول الهيلانى ، حتى يصل إلى طروادة .... « وأنا أعرفك يا بوريس حين تعصف وترف ، وتصبح ويلا على الجوارى أى ويل ؛ وأنت يا كوروس ، إياك وهذه البوارح التى تصْلى بها سفائن القوم ، وأنت يا أكويلو ؛ وأنت أيضاً يا نيتوس ، إن ريحك مُجْفِل ، وهبّاتك هوجاء ، ولفحاتك حرور ، وأنفاسك سموم ، فان لم تترفق بالقوم ، وتجر بين أيديهم رخاء ، فلأسجننك فى الكهف الأسود حتى حين ، أما أنت يا ولدى ايودوس ، فاحذر أن تصيب الناس سوافيك أو يسوء فألهم فيك ؛ بل كن لهم خادماً أميناً ، تدفع ركبهم فى رفق ، وتملأ شراعهم فى أناة .... ويسرنى أن تسمعوا لنصيحة زفيروس ، فهو ألينكم عريكة ، وأكثركم صفاء ... ألقوا اليه بزمامكم ، ولا تختلفوا فى أمر يلقيه اليكم ، أصلح لكم زبوس أحوالكم .... »

وهبت الريح فخفقت أفئدة العسكر ، وابتهجت أنفس القادة ، واجتمع الميرميدون حول أخيل يترضونه ويعتذرون عن رجمهم إياه يوم القربان المشئوم ، ثم انتشرت الشراع ورُفعت المراسى ، وهمت الفلك فاحتواها البحر اللجىّ ، وما عتمت أن صارت من الماء والسماء فى خضرتين ، ومن دروع الجند وزبد الموج فى لبدتين ، ومن قلوب الشعب الهاتف فوق الشاطئ الشاحب فى بحر من الآمال !

واضطرب البحر بعرائس الماء وأبكاره ، أسرعن من كل فج يحيين أبطال هيلاس ، يُخَفِّفين الوشائح السوداء التى ادخرنها لأيام الفصل ، إن أيام الفصل كانت ميقاتاً

وتوارت الشمس بالحجاب ، وبزغ القمر يفضض حواشى الماء ، وحلقت النجوم ترى إلى هذا الأسطول اللجب يمخر عباباً من خلفه عباب ، ويطوى لجة من ورائها لجة ، والملاحون دائبون مايبنون ، مرسلين فى اللانهاية ألحانهم ، مرددة الرياح أغانيهم وأنغامهم ؛ والقادة متكبكبون حول القائد الأعلى ، حول أجاممنون ، يدرسون تلك الخطة ، وينقدون هذه الفكرة ، ويدبرون من أمرهم ما يصل بهم إلى نصر عزيز

---

(1) (Æolus) رب الرياح فى الميثولوجيا اليونانية ، وقد تزوج من أورورا فأنجبت له أبناءه الستة : ١ — بوريس رب الريح الشمالية ، ٢ — كوروس رب الريح الشمالية الغربية ٣ — أكويلو رب الريح الغربية ٤ — نيتوس رب الجنوبية الغربية ٥ — ايوروس رب الريح الشرقية ٦ — ثم زفيروس رب النسيم الجنوبى (عن هـ . ا . جربر ص ١٨٤)

وتنفس صبح اليوم الثالث . . .

وبدت طروادة العاتية فى الأفق الشرقى ، متشحةً بالشفق النحاسى ، الذى صبغ سماءها بالبنفسج الرائع ، تتفجر منه أنهار من الدم ! !

طروادة !

ذات الأبراج المشيدة ، والقباب المنيفة !

إليوم ! ! (١)

بَنِيَّةُ (٢) نبتيون إله البحار يوم نفاه زيوس من جنة الأولمب ، ونفى معه أبوللو ، فساعده فى بنائها بموسيقاه ! !

يا ما أروعه منظراً أن ترى إلى أبوللو العظيم يعزف على قيثارته المُرِنَّة ، فتثب الحجارة وتتراقص ، وتقفز إلى مكانها من أسوارك يا إليوم ! !

طروادة يا ذات الحول !

أين تنام هيلين الساعة سالمة حالمة ، وأيان تتقلب تُرْبُ فينوس ملء ذراعى باريس ! !

ويحك يا منالايوس !

إنه ينظر بعينين مشدوهتين إلى أسوار طروادة ، يتمنى لو تندك على العاشقين الآثمين ! !

« . . . أهو الآن يقبلها ، ويجنى جنا خديها بفمه النهم المشتعل ؟ أم هو يضمها إليه فى عنف ، غير آبه لقلبى الخافق المضطرب ! . . . . . . »

منالايوس ! لا بد مما ليس منه بد . . !

***

لقد ترامت أخبار الحملة الهيلانية إلى طروادة فهب أهلها البواسل يستعِدّون ويستمِدّون جيرانهم فنصروهم ولبوا نداءهم ، وهرعوا إليهم من كل فج عميق ، وها هى مشارف الجبال وقننها وسفوحها ، ونتوء الشاطىء وصخوره ومغاوره ، وها هى ليديا المتيقظة ، وإوليا المتحفزة ، وإيونيا الرابضة (٣) . . . ها هى البلاد جميعاً تضج بالجند ، وتمج بالسلاح ، وتقعقع بآلة الحرب ، وتدق طبول الوغى ، وتذكى نيران الحراسة فى قمم الجبال ، فلا تغفل عين ولا تهمد همة ، ولا يتسرب إلى النفوس كلال

واقترب الأسطول من الشاطىء . . .

ولكن أحداً لم يجسر أن يجازف بنفسه ، لأن القتيل الأول ، هو أول من يهبط إلى الأرض ، كما أخبرت النبوءة فى معبد دافى !

ومرت أيام : والهيلانيون فى سفائنهم ينظرون إلى أبراج طروادة وفجاجها ، ويتحرقون شوقاً إلى لقاء جنودها ، ومنالايوس يحرق الأرّم هو الآخر ؛ ولكن أحداً لا يرضى أن يكون الفدائى الأول . . . « لأنى إذا نزلت إلى هذا البر المخوف فسيكون الموت محتوماً على ، دون أن أستطيع إلى قتل أحد من هذا الجند من سبيل ، وأنا لم أحضر إلى هنا لأكون قرباناً للآلهة ، ولكن لأزاحم وأنافح وأصول ، فان قتلت بعدها ، فبعشرات وعشرات ، لا كما يقتل كلب البرية غير مفدى . . . »

بروتسيلوس البطل

بيد أن هيلانياً مقاحماً ، هيلانياً واحداً ، من خيرة القادة ومذاويدهم ، عز عليه ألا يكون فى هذا الجيش العرمرم ، على ما جمع من صناديد اليونان ومغاويرهم ، فدائىٌ واحد يتلقى الطعنة الأولى النجلاء ، بثغر باسم ، وقلب لا يجزع ، ونفس مؤمنة مطمئنة لا تهلع فى موقف الموت ، ولا تفرق إذا حُمّ القضاء !

كبر على بروتسيلوس أن يرمى قومه بجبن ليست لهم يد فيه ، وكبر عليـــه أن يقف ألف ألف لو شاءوا دكوا الجبال وزلزلوا السماوات ، من دون هذا البلد لا يتقدمون ولا يتأخرون ، كأنما حربهم هزل ، ونفيرهم مُكاء ، وعزمهم تلفيق . أو كأنما ملأوا الدنيا وعيدا لتمتلىء الدنيا عليهم سخرية وضحكا !

كبر على بروتسيلوس ألا يكون هو شهيد هذا الموقف ، فارتخص نفسه ، وهانت عليه الحياة ، وتفهت فى عينيه لذائذ هذا العيش الذليل ؛ ثم استخار أربابه ، واستماذ بسيد الأولمب ، وما هو إلا أن لمح الشمس يذر قرنها فى خِدْر الشرق ، فوق جبين طروادة ، حتى قذف بنفسه على الشاطىء ، وأرسل فى الخافقين صيحة الحرب كأنها رعد يميد به جانب الجبل ، وتهتز من قصفه أسوار المدينة ؛ ثم جال جولة هنا وجولة هناك ، وإذا بالسهام ترشقه من كل مكان ، وإذا هو ملق على أديم الثرى مضرّجاً بدمه ، معفر الجبين بأول نقع الوغى

(١) (Ilium) هى طروادة أيضاً ، ومن هذا الأسم اشتق هوميروس كلمة (الإلياذة) لملحمته الخالدة (Iliad) . وعلى ذكر الألياذة ننبه القارىء إلى أننا — حتى هذا الفصل — لم نصل اليها ؛ وسنشير إلى ذلك فى حينه

(٢) إشارة إلى أن نبتيون هو الذى بناها

(٣) هذه أقاليم قديمة فى غرب الأناضول مما يجاور طروادة براً وبحراً

رحلة من الدار الآخرة

وذاع خبر مقتـــله حتى انتهى الى تـاليا ، حيث زوجته المفجّعة ، فحزنت عليه حزناً أمض قلبها ، وشفّ جسمها ، وأقض مضجعها ، وصيّر الحياة فى عينيها حالكاً شديداً وظلاماً قاعاً ! . . . . « پرتسيلوس ! أهكذا يا حبيبى ذكرت كل شىء فى ميدان المجد والشرف ، ونسيت فيه كل شىء ؟ أهكذا ياحبيبى ذكرت التضحية والأقدام حين تخاذل مواطنوك عن مواطن التضحية والأقدام ، فغامرت بنفسك فى هذا المعترك المضطرب ، ونسيت أن وراءك قلباً ينعقد رجاؤه بك ، ونفساً ترف من خلف البحار فوقك ، وروحاً لا سكن لها إلا صدرك الحنون ، وعينين لا يعرفان جمال الحياة إلا فى وجهك المشرق ، وأذنين ما التذتا إلا الموسيقى المنسكبة من فمك ! ! پرتسيلوس ! ما قيمة الحياة بعدك ياحبيبى ! من لزوجتك التاعسة يوم يفخر النساء بأزواجهن؟ من للمحزونة الكاسفة لاؤوداميا ؟ ما أشق الحياة علىّ بعدك يا رَجُلى ومن كنت كل شىء لى !

لا أسخط عليكم يا أربابى !

بل أنا أصلى لكم ! أصلى لكم بدموعى وقلبى ! أصلى لكم بأحشائى التى تتمزق ، ورأسى الذى يحترق ! أصلى لكم بلسانى الذى يجف من شَرَق فى حَلْق ، وكان حديث پرتسيلوس يُرطّبه ويندّيه ! أصلى لكم يا أرباب الأولمب عسى أن تلين قلوبكم لى ، فأرى حبيبى وأموت ! !

رجيّة يسيرة على مقدرتكم يا أرباب الأولمب ! إما أن أقضى فأستريح من هذا الكمد الممض ، والبثّ المؤلم ، وإما أن تأذنوا فيعود پرتسيلوس ، فأراه وأموت !

أنعمى عليكم أن يعود فأكلمه . . . أملأ أذنى وقلبى من موسيقاه ! أناديه باسمه ويناديني باسمى ! يعانقنى وأعانقه ! يرى الى عبراتى وأنظر الى عبراته ! يبتسم لى فى رضاه وفرحه ، وأبتسم له فى انكسارى ولوعتى !

إئذنوا يا أرباب الأولمب ، فأنا ما أفتأ أصلى لكم ، وأتوسل إليكم بدمه الزكى ، وروحه الأبى ، وقلبه الكبير !

إرحموا ذلى ، ورقوا لهوانى ، وارثوا لحالى ! . . . . . »

***

وصيّرت بنواحيها إشراق الصباح ظُلمةً من الحزن لا أول لها ولا آخر ؛ وأرسلت فى الليل البهيم أنّاتها المؤلمة ، وزفراتها الحارة ؛ ووصلت بكاءها الطويل بصلاتها الخاشعة ، حتى ارتجفت قواعد الأولمب ، واهتزت عروشه الذهبية ، وانعقدت بينه وبين لاؤوداميا قنطرة من الحزن ، عبرت عليها بركات الآلهة الى فؤادها المكلوم ، فمسحت عبراتها ، وهدّأت من روعها ، وبشرتها بعودة پرتسيلوس !

وفى هدأة ليلة مقمرة ، سكن هواؤها وصدح بلبلها ، وأنشد البدر لحنه الصافى على آراده الفضية ليغمرها بهاءً وروعة ، خرجت لاؤوداميا المحزونة من قصرها المنيف ، لتلقى روح پرتسيلوس يهدهده هرمز الكريم بين يديه ، حتى يكون تلقاء زوجه ، فترتمى بين ذراعيه !

ويغرقان فى طوفان من القبل !

ويغرقان فى لجة من العبرات !

ويقص عليها پرتسيلوس أنباء مقتله . . . فتبكى . . . وتبكى . . . وتعاتبه لاؤوداميا . . . وتعذله . . . ولكن الساعات الثلاثة التى سمحت بها الآلهة للقائهما تمر كاللمح . . . فينبهما هرمز الى انقضائها . . . وماتكاد تسمع نذيرهرمز ، وتعرف أن زوجها عائد أدراجه الى هيدز ، فيظل فيها الى الأبد ، حتى تصعق مكانها ، وتخر مغشياً عليها . . . وتموت !

فوا رحمتاً للزوجين السعيدين

(لها بقية) دريني خشبة

الباقى على قيد الحياة

للقصصى الفرنسى بلزاك

ترجمة حسن محمد حبشى

حين دقّت ساعة مدينة (مندا) الصغيرة مؤذنة بانتصاف الليل، كان ضابط فرنسى شاب متكئاً على حافة سياج طويل يحيط بالقلعة، غارقاً فى لجة التفكير العميق، وذلك أمر غير مألوف بالنسبة لما يحيط به، ولكنه كان منصرفاً عن كل ما هو فيه من وقت وليل ومكان إلى التفكير القوىّ، وكانت سماء أسبانيا الجميلة تمتد فى زرقة صافية فوق رأسه، قد رُصّعت بالنجوم اللألاءة، وضوء القمر الساطع ينير هذا الوادى الجميل الممتد تحت قدميه، وهو يشرف على مدينة (مندا) ويعلوها بمائة قدم؛ وكأن الطبيعة قد هيأتها هكذا لتكون فى مأمن من رياح الشمال الآتية من هذه الصخرة الكبيرة التى تقوم عليها القلعة، وإذ أدار الضابط رأسه، أبصر البحر يكتنف البلدة بأمواهه الفضية، وكأنه قد استحال إلى قطعة من اللجين الذائب، وكأن القلعة كوكب أو جوهر ضوء وهاج، وكان وهو فى مكانه، يسمع صدى رنات الموسيقى، وعربدة الضباط فى الحفلة الراقصة، وقد اختلط ذلك بهمهمة الأمواج الآتية من بُعد، وكأن نسيم البحر والليل جددا نشاطه المنهوك، زد على ذلك ما حوله من حدائق فيحاء، وزهور عطرية الشذا، نفاحة الأريج، فكأنه مغموس فى حمام من العطر الزكى

وكانت قلعة (مندا) فى حوزة شريف إسبانى، اتخذها وأسرته دار إقامة، وكانت ابنته الكبرى (كلارا) الجميلة ترمق الضابط الفرنسى الشاب بنظرات مبهمة، وإن كانت تنم عن حزن عميق

وكانت كلارا هذه فتاة رائعة الحسن، فوقع جمالها فى قلب الضابط الفرنسى موقع الماء من ذى الغلة الصادى، فوقف واجماً يفكر فى هذا الجمال، وبالرغم من أن ثروة أبيها كانت طائلة، وموزعة بينها وبين إخوتها الثلاثة وأختيها، فقد رأى فكتور مارشاند (الضابط) أن فيها الكفاية لأن تكون الدوطة كبيرة، ولكن كيف يتسنى له أن يخطب يد (كلارا) ابنة الشريف الاسبانى، وهو ابن تاجر صغير فى باريس، أضف إلى ذلك ما بين الأسبان والفرنسيس من إحن

وكان الجنرال (ج) قد علم من مصدر سرى أن المركيز يحاول أن يوقد مشعل الثورة لنصرة فردناند السابع، ولذا أرسل مرشاند ليعسكر فى مدينة (مندا) حتى يكون على علم تام بما ينويه الثوار، ولكى يخمد أى حركة يقومون بها ضد الفرنسيس، وفى ذلك الوقت وصلت إشارة بأن المركيز يتصل سراً بالادارة الانكليزية فى لندن، وليس من البعيد أن يرسل الانكليز مدداً؛ ومما حير لب فكتور مارشاند أن المركيز قد استقبله وعائلته استقبالاً لا يدل إلا على منتهى الهدوء؛ ووقع بين أمرين، إذ كيف يوفق بين هذا الهدوء الذى يتجلى فى المركيز وأعماله، وبين إشارة الجنرال من وجود مفاوضات سرية؟ ولكن سرعان ما تلاشت هذه الخواطر من ذاكرته، حينما مدّ بصره إلى الأمام، فأبصر عدة مصابيح مضاءة فى المدينة، مع أنه أصدر أمره، بأن تطفأ الأنوار كلها فى ساعة معينة، على رغم أن الليلة ليلة عيد ميلاد القديس سنت جون، ولم يسمح بالأنارة إلا للقصر فحسب، ومما أحال الشك يقيناً عنده، وبأن هناك يداً تعمل فى الخفاء أن رأى ساريات عدة مراكب وسط مياه البحر، تحت أضواء القمر الفضية. وبينما هو سابح فى تيار التفكير العميق إذ سمع وقع أقدام خلفه، ولما تبينها وجد أحد رجاله يلهث، وحين رآه قال له:

ـ أهو أنت يا سيدى الضابط؟

ـ نعم هو أنا... ماذا تريد؟

ـ إن هؤلاء الوحوش يزحفون زحف الديدان

ـ ثم ماذا؟

ـ لقد رأيت رجلاً يخرج من القصر وفى يده مصباح مضاء، وهذا مما أثار الشك فى نفسى، وبعثنى على أن أقتفى آثاره، وأظل قريباً منه جهد ما أمكننى؛ أجل! قد يكون مسيحياً محافظاً على التقاليد، غير أن الحالة التى هو فيها، ومخالفة أمرك، كل ذلك مما يجعل الشك يحوك فى نفسى. وثم أمر آخر ياسيدى الضابط، ذلك أنى اكتشفت على قيد خطوات منك، عرمة من الحطب

ولم يكد الجندى يصل إلى هذا الحد من الكلام حتى دوت فى المكان صرخة صدعت السكون العميق ، وانفجرت قنبلة أودت شظية منها بالجندى لساعته ، واندلع لهيب النيران على بعد عشر خطوات فحسب ، من الضابط الذى أسقط فى يده ، وتبين له أن فى الأمر دسيسة ، وأن الثوار قد تأهبوا للفتك بالأعداء ، واضطرب فى مكانه ، إذ لم يكن معه حسامه ؛ وها هو ذا يرى رجاله وقد تردوا فى ساحة المدينة ، وصمتت الموسيقى ، وتلاشت ضحكات الضباط ، ومر على مخيلته ما سيلاقيه – إذا هو ظل حياً – من محاكمة وإهانة ، فلم يجد أمامه من وسيلة للنجاة إلا أن يلقى بنفسه فى سفح هذا الوادى ، حيث يتحطم جسمه على صخوره الجاثمة هناك :

وإذ كان على أهبة تنفيذ ما اعتزم ، أحس يداً أعاقته عما هو قادم عليه ، فاشرأب إلى صاحبها ، فاذا به (كلارا) تهيب به ، أن أسرع فان إخوتى على آثارى قادمون .... للفتك ... بك ؛ وامض إلى الصخرة القائمة عند سفح التل ، وستجد حصان أخى (جوانيتو) فامتطه ولا تتريث لحظة ، وإلا فقدت حياتك

فحدق الفتى فيها دقيقة ، وقد فاضت نفسه بالدهشة ، ولكنه تنبه أخيراً ، إذ ثارت فى نفسه غريزة حب الحياة ، تلك الغريزة التى تتمثل فى الجميع على السواء ، فى حيوان أو إنسان ، وحمل اليه الريح صدى صوت (كلارا) تهيب بأخوتها ، ألا يتريثوا فى اقتفاء آثاره ، كما سمع وقع حوافر دوابهم تسابق الريح ، وهم على صهواتها يرسلون عليه وابلاً من الرصاص الذى كان يمر بجانب رأسه ، ولم يتمهل هو الآخر لحظة فى الطريق بل أسرع بالجواد ، وبعد بضع ساعات كان فى حضرة الجنرال ، وكان فى ثلة من إخوانه يتناولون طعامهم ، فارتمى أمامه قائلاً :

– « مولاى . إن حياتى بين يديك ، افعل بها ما تشاء ؟ »

ثم أخذ يقص على الجنرال قصته ، فاذا الجميع ينصتون اليه وكأن على رءوسهم الطير ، على وجوههم غبرة ، ترهقها قترة ، وألجم الخبر أفواههم ، وجعلهم آذاناً فحسب ، فلما أتمها قال له القائد العام :

– « يا هذا إنى أراك سيء الحظ ، أكثر من أن تكون مذنباً ، لا تثريب عليك ، وإنى لأبرئ ساحتك ، إلا إذا رأى المرشال غير هذا »

فسأله الضابط : « وإذا سمع الامبراطور بالحادثة ! ؟ »

فأجابه الجنرال : « سيكون القتل نصيبك ، ولكن دعنا الآن من هذا ، وهيا ندبر خطة ننتقم بها من هؤلاء الأوغاد ، أوشاب الانسانية ، لابد أن يكون الثأر شديداً ، حتى تخمد فى نفوسهم الوحشية والدناءة »

وفى ساعة من الزمن ، شدت فرقة من الجند رحالها ، على رأسها الجنرال ، بصحبة الضابط فكتور ، وإذ علم الجنود بمصير زملائهم الذين أخذوا على غرة ، ثارت فى عروقهم دماء الانتقام واستحالوا شعلة تتأجج لحرق الاسبان ، وأقسموا أن ينتقموا لاخوانهم أشد انتقام ، وسرعان ماقطعوا المسافة بين مدينة مندا ، وبين مركز القيادة العليا

ورأى الاسبان أنفسهم محاصرين ، وعلموا أن الجنرال لايتردد لحظة فى الفتك بأهل المدينة ، لا تأخذه فى ذلك شفقة ولا رحمة ، فبعثوا اليه رسل المهادنة ، ورضى هو أن يسلم كل من فى القصر أنفسهم اليه ، من أحقر الخدم الى المركيز نفسه ، واتخذ القصر مركزاً للقيادة ؛ وأمر بكل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة ، وخدمها أن يقيد ، ونكل بالثوار أشد تنكيل ، ولم يرحم رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً ، بل ثارت فيه غريزته الوحشية ، وبينما هو فى مجلس من رجاله إذ أقبل عليه فكتور مارشاند ، وقال له :

– أسألك يا مولاى أن تجيب لى طلباً ، هو أن المركيز يرجوك أن تفرق بين الأشراف والعامة ، وذلك بأن تطيح رقابهم بيد الجلاد لا بالمشنقة ، وأن تفك قيودهم التى كبلوا بها ، ولن يحاولوا الهرب ، وذلك عهد قد قطعوه على أنفسهم ، وإنه ليتخلى لك عن جميع أملاكه وأمواله إذا عفوت عن أحد أبنائه ووهبته الحياة

فقال الجنرال : إن أمواله قد أصبحت تبعاً للملك جوزيف ، ولكنى سأهبه ما طلب ، وإن كنت أعرف علة رجائه ، فى أن يبقى اسم الأسرة ، ببقاء أحد أفرادها ؛ سأهبه ذلك ، لمن يرضى أن يكون جلادهم ، ويطيح برقابهم ، والآن لا تذكر لى شيئاً عنهم ألبتة

* * *

اجتمع الضباط فى الحجرة التالية يتناولون غداءهم ، وكانوا فى نهم شديد إثر ما كابدوه من نصب وتعب ، فأقبلوا على الطعام كالوحوش الضارية قد أنشبت مخالبها فى فريسة دسمة بعد طول سغب ، وتفقدوا الضابط فكتور ، فلم يجدوه بينهم ،

ذلك لأنه مضى إلى الحجرة التى فيها عائلة المركيز وآلمه أن يرى سادة الأمس مقيدين كالعبيد ، قد ارتسمت على وجوههم دلائل الأسى الشديد ، واللوعة المرة ؛ وأى لوعة أشد على النفس من أن يرى المرء عبدا حقيرا يتحكم فيه وهو السيد الحاكم ؟ وسرت رعشة فى جسد الضابط حين فكر فى هذه الرءوس الجميلة ، وانها ستهوى على أقدام الجلاد مصبوغة بالدماء ، وكأنما هم كانوا يفكرون فى هذا الأمر نفسه ، فقد بعثروا حولهم تنهدات الألم والحزن التى ملأت جو الغرفة ، وإذ أبصروا فكتور يدخل حجرتهم اشرأبت أعناقهم ، طمعاً فى أن يكون حاملا اليهم بشرى العفو ، فأمر الجند أن يفكوا قيود السادة ، ومضى هو بنفسه يحل وثاق (كلارا) فقابلته على صنيعه هذا بابتسامة اغتصبتها اغتصاباً ، ومس فى رفق ذراعها البضة الناعمة ، وأعجبته خصلات شعرها الفاحم ، المتهدل على جبينها الوضاء ، وفتنة قدها المشوق الجميل ، وخصرها الأهيف ، فسألته هل نجح فى مهمته ، فهمهم همهمة حزينة ، وجال ببصره فى وجهها ووجه اخوتها الثلاثة ، وكان (جوانيتو) أكبر الأبناء يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ، وأخوه (فيلب) عشرين ربيعاً ، وكان (عمانويل) يبلغ ثمانية أعوام ، ذا أنف رومانى وطلعة جميلة ؛ ثم جمع أطراف شجاعته ، وأخبرها برأى الجنرال ، فسرت رعدة الرهبة فى أوصالها ، ولكنها تشجعت ومضت تخبر أباها بما أسره اليها فكتور ، وزادت عليه قولها : — أبى عليك أن تأمر (جوانيتو) وعليه أن يصدع بأمرك اذا كان مخلصاً لك ، فى طاعته اياك ، وتلبيته لرغبتك اســمادنا ! فلما سمعت الأم ذلك ، أحست بالأمل يعاودها ، وظنت أن نجاتهم أصبحت قاب قوسين ، وما علمت أن المركيز إذ ذاك يطلب من ولده أمراً ، تنهد له الجبال هداً ، واذ تبينت حقيقة الأمر والطلب ارتدت الى الوراء ، تعلوها صفرة اليأس ، وعرف جوانيتو السر فثارت دماء الغضب حارة فى عروقه ، وهب ثائراً كالأسد ، قد ألفى نفسه أسير قفص من الحديد ، بعد أن كان يطأ الثرى ، فى زهو الأمير ، ويرى الغابة كلها تكاد تضيق عن خطى أقدامه ، ولكن الأب هدأ كل ذلك ، بأن قال : « جوانيتو »

فكانت إجابة جوانيتو هزة الرفض من رأسه ، وارتمى خائراً على مقعده ، يصمد ناظريه فى أبويه ، وقد تجلت الدهشة والأسى والغضب فى عينيه الحائرتين ، فلما رأت (كلارا) إصرار أخيها على الرفض ، تركت مكانها الى حيث جوانيتو ، وطوقت عنقه بذراعيها الغضتين ، وجثت أمامه وقبلته فى عينيه قائلة :

— « أى جوانيتو : يا أعز ما أملك ، آه ! . . . ما ألذ الموت إذا كان من يدك ! . . . إنك لا تدرى حلاوته . . . كما أشعر بها الآن . . . أنقذنى . . يا جوانيتو . . من يدى السفاح . . الملوث اليدين . . . حتى لا يقال . . . إن جلاداً حقيراً . . . أطاح رقاب العائلة الحاكمة . . وأنقذنى من بين براثنه . . وبراثن رجل آخر »

ثم نظرت شزرا الى فكتور ، نظرت اليه نظرة تفيض حقداً وكراهية واحتقاراً ، وكأنها بذلك تثير فى نفس أخيها الحقارة للفرنسيس ، وتشعل الضغينة فى نفسه عليهم ، . . . ثم قال له أخوه فيليب متوسلاً : « كن شجاعاً صنديداً وإلا محوت عائلتنا الشريفة من العالم »

وأمره الأب ، فلم يلب طلبه ، فجثا أمامه ، هو وإخوته جميعاً ورفعوا أكفهم مُتوَسِّلين اليه أن يضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، وأن ينقذ اسم العائلة من أن يدنس ، وعرف الأب من أين تؤكل الكتف ، فأهاب به قائلاً : « أى بنىّ . أغادرتكَ شجاعةُ الاسبانى ، وإحساسه الشريف ؟ أأجثو أمامك . . . وأتوسل اليك . . . ولا ترد طلبى إلا خائباً ؟ أتفكر فى ألمك فحسب . . ولا تزنه بآلامنا جميعاً . . إذا أصررت على المكابرة » ثم التفت الى زوجته قائلا : أهذا ولدى يا زوجتى ؟

فصاحت به الأم فى يأس : «سيلبى طلبك . . أيها المركيز!!» ولمحت جبين جوانيتو ينعقد أكثر ، وتبينت أنه يألم لها أكثر من الجميع ، وحينذاك كانت الثانية «ماركينا» قد تعلقت بأطراف ذيل أمها ، بقبضتيها الضعيفتين ، وأخذت تذرف الدموع ، فلما شاهدها « فيليب » انتهرها ولامها ، وإذ ذاك دخل الحجرة كاهن المدينة ، فالتفوا حوله كصغار الطير ، ومضوا به الى جوانيتو الصامت ، فلم يستطع مرشاند ، أن يرى هذا المنظر الأليم ، فبارح الغرفة الى حيث اجتمع الجنرال مع بعض قواده يجرعون الخمر ، وقد أصدر أمره باحضار فرقة من الجند تذب الناس عن أن يقربوا من جثث الخدم المشنوقين ، مدلاة أمام أعين السابلة ، ووقف الجلاد بهيئته المفزعة ليحل مكان جوانيتو إذا خانته شجاعته ، ولم يستطع أن يقوم بتنفيذ

ما عهد اليه ، وصدع هذا السكون الضارب أطنابه على المكان وقع أقدام عائلة المركيز ، يحيط بهم الجند مشهرين سيوفهم ، يلمع في ظباها الردى ، ولم تفارق الهيبة أفراد الأسرة ، وكانوا يتقدمون الى حيث النطع ممدود في خطوات هادئة ، لا أثر للخوف أو الاضطراب فيها ، غير أن أحدهم قد علته صفرة الأموات ، متكئاً على ذراع الكاهن الذي أخذ يهدئ روعه المضطرب ، بترانيم دينية ، فعرف الجميع حينئذ أن (جوانيتو) سيقوم بمهمة الجلاد في اطاحة الرقاب ، وجثا الجميع قريبين من المقصلة ، وأي مشهد آلم للنفس من أن ترى عزيز قوم ذل ؟ لقد كان المركيز وزوجته وابنتاه ، وولداه ، أمام جوانيتو ، الذي أسر اليه الجلاد بعض الكلمات

***

حينذاك اقتربت (كلارا) من أخيها ، وصاحت به : جوانيتو ، ابدأ بي إذا أردت أن ترفق ... بشجاعتي المنهوكة ... هيا .. أطح رأسي أولاً ! !

وساعتئذ أبصر الناسُ الضابطَ (فيكتور مارشاند) مسرعا نحو (كلارا) التي جثت على ركبتيها تتأهب للأمر الواقع ، وتستعد لأن يطاح رأسها ، فلما حاذاها تماماً قال لها في أذنها : « إن الجنرال ليعفو عنك ويهبك الحياة إذا رضيت بي زوجا ! »

فصوبت اليه نظرة ملؤها الكبرياء بنفسها ، والازدراء له ، ثم صاحت بأخيها ، كأنها اللبؤة الضارية : «هيا ، يا جوانيتو . . فاني . . . على أتم الاستعداد . . . . » وإذ ذاك أبصر الناس رأسها الجميل يتدحرج تحت قدمي أخيها ، وقد انفصل عن جسدها ، وسرت الرعشة في جسد أمها ، ولكنها ملكت عواطفها ، وتقدم أخوه عمانويل وسأله : « أتراني في مكاني تماماً . . أيها العزيز جوانيتو ؟ »

ثم أقبلت اليه أخته الصغيرة (ماركينا) والدموع تنهمر من عينيها ، فسألها : « أتبكين يا أختاه ؟ »

فقالت : نعم يا حبيبي جوانيتو ، إني أبكي من أجلك . . . . اشد ما يؤلمني أن تظل وحيداً حين تفقدنا جميعاً فلا نجدنا معك »

ولكنه رفع السيف وأهوى به على رقبة الصغيرة ، وإذ ذاك تقدم منه أبوه المركيز ، فصوب ناظريه ، وصمدها ، في دماء أبنائه الجارية تحت قدميه ، كأنها المياه المتدفقة شاهدة على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ثم التفت ناحية الجماهير الذين عقدت الدهشة ألسنتهم ، فكانوا أصناماً لا تتكلم ، أو تتحرك تأثراً من هذا المشهد المروّع ، ثم مد يده الى جوانيتو ، وصاح في صوت قوي النبرات حادها ، وقال :

« أيها الاسبانيون ! إني أبارك ولدي ، وأهبه دعوات الأبوة والآن هيا أيها المركيز . أطح رأسي ، ولا يأخذك الخوف أو الرعب ، هيّا . لا تثريب عليك »

فلبى نداء أبيه صامتاً حزيناً ، وإذ ذاك أقبلت أمّه ، منهوكة القوى ، خائرة الأوصال ، كيف لا وقد رأت أبناءها جميعاً ، وزوجها المركيز ، تطاح رقابهم ، كأنهم الماشية بل أحقر ، ذلك قلب الأم الذي :

لا ربة النسيان تر حم حزنه وترى بكاه
كلا ولا الأيام تب لي في أناملها أساه
إلاّ إذا ضفرت له الـ أقدار اكليل الجنون
وغدا شقياً ضاحكاً تلهو بمرآه السنون

أقبلت أمه متكئة على ذراع الكاهن ، ونظرت إليه نظرة الوداع ممزوجة بأحرّ الألم ، فما رآها حتى تنبهت حواسه الخامدة وثار غاضباً ، وقال :

— « إن ثدييها هذين قد أرضعاني صغيراً »

فانتفض الجميع ، حين سماعهم هذا ، وانتزعت تلك الكلمات صرخة الفزع من قلوبهم جميعاً ، وسكنت ضحكات الضباط ، وعرفت المركيزة وقتئذ أن شجاعة جوانيتو ولّت ، ولم يعد ذلك القوي ، فجمعت ما تبقى من شجاعتها المبعثرة ، ثم قفزت من فوق قمة المنحدر فهوت إلى القاع ، وقد مزقتها الصخور الجاثمة في أسفله شر ممزّق ، فهتف الجمهور الشاهد هتاف الاعجاب ، أما جوانيتو فقد رقد مسجّى مغمى عليه ، فحملوه إلى الخارج حيث عاش وقد أسموه (El Verdugo) (الجلاد)

حسن محمد حبشي

البريد الأدبي

سرقة أدبية !؟

قرأت كلمة فى بريد الرسالة (١١٥) بتوقيع «حبيب زحلاوى» يتهم فيها « الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى » بأنه سرق قصيدته « عاصفة روح » من قصيدة الشاعر الدمشقى ميشيل عفلق (؟) ونحن لم نقرأ قصيدة « عاصفة روح » ولا قصيدة (عفلق) ولا نعتدّ بهذا الشعر ، لأنا لا نجد فيه روحاً كالتى نريد ، ولا لغة كالتى نرتضى ، ولكنا مع هذا نعلم أن الدكتور ناجى من نابغى الشعراء الشباب فى مصر ، ونعرف له أشياء بالغة فى بابها حدّ الجودة . فأحببنا أن نطمئن الدكتور الى أنه ليس فى دمشق شاعر يسمى ميشيل عفلق ألبتة ، وربما كان فيها كاتب صحف ، أو ترجمان قصص ، بهذا الاسم ، أما شاعر فلا . . .

وقد سألنا عن القصيدتين صديقنا الشاعر أنور العطار ، فأكد لنا أن قصيدة عفلق مسروقة من قصيدة لشاعر من شعراء سورية فى المهجر ، وأنّ هذا هو السرّ فى أنه لم ينظم فى حياته غيرها !

على أن هذا المذهب الأدبى الجديد لا ينكر فيما نظنّ السرقات الأدبية . لأنه لو أنكرها وحرّمها ، لسقط سقوطاً لا قيام له من بعده ، لأن فى كل قصيدة أو مقالة من هذا الأدب الجديد ضميراً مستتراً يعود الى شاعر أو كاتب انكليزى أو فرنسى . ثم إن هذا الأدب لم يكتب بلغة عربية ، تضمن له البقاء ، وتكفل له الخلود ، وليس فيه إلا معناه ؛ فاذا خسره فقد خسر كل شىء ، وماذا يبقى من أدب معناه مسروق ، ولغته مرذولة ساقطة ؟ . . .

ولعلّ الله يوفقنا الى تبيان هذا فى مقال آخر ، نردّ فيه هذه البدعة المنكرة فى الأدب ، بدعة أقوام سرقوا المعانى والأفكار ، ثم لم يقدروا أن يصوغوها صياغة عربية فقالوا : إنه لا شأن للألفاظ ، ولكن الشأن للمعانى والأفكار

على الطنطاوى

حول سيرة تيمورلنك

قرأت فى العدد السادس عشر بعد المائة من « الرسالة » الغراء ما كتبه الأديب الباحث م . ع . ع عن مصادر ترجمة تيمورلنك وابن عربشاه ، ولعل من المفيد أن أذكر بعض المراجع التى ترجمت لهما مما لم يذكر الأديب الكاتب ، فقد ترجم له ابن العماد فى كتابه (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) فى نحو خمس صفحات كبيرة من الجزء السابع ، وكذلك السخاوى فى (الضوء اللامع) ؛ فقد ترجم له فى أربع صفحات كبيرة من الجزء الثالث بتحقيق دقيق ، ولابن عربشاه ترجمة واسعة أيضاً فى الشذرات فى أربع صفحات وكذلك فى الضوء اللامع

محمد شفيق

مكانة الفن فى نظم التربية

منذ بضعة أعوام عنى ولاة الأمر فى انكلترا بتوسيع دائرة التعليم الفنى فى بعض درجات التعليم ، ولاحظ الخبراء أن هذه الخطوة أثمرت ثمراً حسناً ، وارتفع معيار الذوق الفنى لدى الجمهور ، وقد رأى مجلس الفن والصناعة أن يتقدم إلى « ديوان التربية » (أو مجلس المعارف الأعلى) باقتراحات جديدة لترقية التعليم الفنى ؛ وخلاصة هذه الاقتراحات هو أن يدخل فى برامج التعليم فى المدارس الثانوية والمتوسطة والعالية نظام ثابت للتعليم الفنى ، وأن يخصص فيها لهذا النوع من التعليم من العناية قدر ما يخصص لتعليم اللغات أو العلوم أو الرياضيات ، وأن الفن يجب أن يكون مادة اجبارية فى برنامج مدارس المعلمين ، وأنه يجب تشجيع استخدام المعلمين الاخصائيين فى الفن . وتبوؤ الفن هذه المكانة فى نظام التعليم يبث فى أذهان الشباب حب الجمال فى جميع مطالب الحياة

ويقول مجلس الفن إن دراسة الفن يجب ألا تكون لقصد الفن ذاته ، وإنما يجب أن يكون التعليم الفنى أداة للرخاء الاقتصادى . وذلك أنه إذا مزج الفن والصناعة فان معيار الصناعة يرتفع ارتفاعاً محسوساً . ولهذه النقطة أهمية خاصة ،

لأن أبناء الأمة إذا درجوا على تقدير الفن والنماذج الفنية ، فانهم كمستهلكين لابد أن يطالبوا بمنتجات تتفق مع أذواقهم الفنية ، ولهذا يضطر أصحاب المصانع لاستخدام الفنيين لسد حاجاتهم ، وهذه خطوة هامة في ترقية الصناعة

ويرى مجلس الفن أيضاً ألا يقتصر على تعليم الفن داخل المدارس ، وإنما يجب أن يسهل السبيل للمتطوعين خارج المدرسة ، ويجب أن يكون للفن أثره في الخط ، وفي شرح دروس التاريخ والجغرافيا والآداب والطبيعيات والتدبير المنزلي . هذا ولما كانت المدارس الحديثة تبنى جامعة لكل أسباب الراحة والصحة ، فانه يجب أيضاً أن يعنى بزخرفتها عناية خاصة حتى يعيش النشء بين مناظر الفن والجمال

وليس الفن الانشائي خاصة لأقلية صغيرة من الناس ؛ فقد دلت معارض الأطفال الفنية على مقدرة لم تكن للنشء من قبل . وقد آن الأوان لأن يشغل التعليم الفني مكانته في جميع درجات الدراسة ، وأن يكون من أهم العناصر في نظم التربية وبرامج التعليم

هجرة الكتاب والعلماء من ألمانيا

ليس من ريب في أن قيام طغيان الوطنية الاشتراكية في ألمانيا كان ضربة للعلوم والآداب والفنون الألمانية ، وقد ظهرت آثار السياسة الهتلرية في انحطاط مستوى الدراسات العلمية والفنية في ألمانيا انحطاطاً ظاهراً ، وفي تدهور الصحافة الألمانية إلى الحضيض بعد أن كانت في مقدمة صحافات العالم ، وفي انحلال النهضة الأدبية الألمانية ؛ ومن المعروف أن معظم العلماء الألمان قد اضطروا إلى الفرار من ألمانيا لأنهم من اليهود أو لأنهم لا يناصرون النظام الهتلري . وقد أثيرت هجرة العلماء الألمان في مؤتمر استقلال المباحث العلمية الذي عقد أخيراً في أكسفورد ، وتلا الأستاذ نورمان بنتوتش الانكليزي على المؤتمر تقريراً ضافياً عن الاضطهادات التي وقعت في ألمانيا على العلماء الذين رفضوا مناصرة السياسة النازية ، ويبدو من الاحصاءات التي تلاها أن العلماء الألمان الذين فقدوا مناصبهم في ظل الحكم الهتلري يبلغ عددهم زهاء ألف ومائتين ، وعلق الأستاذ على ذلك بقوله إن مطاردة العلماء على الجملة إلى مثل هذا الحد ليس لها نظير في التاريخ منذ فتح الأتراك القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ م ، وهو فتح أعقبه هجرة العلماء البيزنطيين إلى غرب أوربا . ومما يجدر ذكره أن نحو خمسين من هؤلاء العلماء المشردين قد استخدمتهم الحكومة التركية في معاهد استانبول وأنقرة

هذا وأما الكتاب الألمان فيكفي أن تعرف أن أكابرهم يعيشون الآن في المنفى في سويسرة وانكلترا ، ومنهم كثير من الكتاب الآريين (غير اليهود) مثل توماس مان عميد الأدب الألماني المعاصر والحائز على جائزة نوبل ، وأخوه هنريش مان وولده كلاوزه ، وقد جرد معظم أولئك الكتاب من أملاكهم وأموالهم في ألمانيا وحظر على المطابع الألمانية أن تخرج كتبهم كما حظر دخولها في ألمانيا ، ومعظمهم الآن يخرج كتبه مترجمة إلى الانكليزية أو الفرنسية

وأما الصحافة الألمانية ، فان أولئك الذين عرفوها أيام ازدهارها وعظمتها أعني قبل ثلاثة أعوام ، يدهشون اليوم حينما يرون ما انتهت اليه الصحف الألمانية من ضآلة في الحجم والمادة ، ومن تشابه ممل فيما تكتب وتعرض وتناقش

الرياضة والمخدرات

يفتك وباء الأفيون ببلاد الملايو التي يسيطر عليها الانكليز كما يفتك بالصين وكل الشعوب التي تنتمي إليها من الوجهة الجنسية أو من وجهة الحضارة . وقد قرأت السيدة هرسبروج عضو مجلس العموم الانكليزي ومندوبة انكلترا في اللجنة الخاصة بمكافحة الأفيون في عصبة الأمم ، تقريراً في اللجنة عن الوسائل التي تجري عليها السلطات الانكليزية في بلاد الملايو في محاربة وباء المخدرات ، قالت فيه إن هذا الكفاح لا يجري فقط بالرقابة والحظر ، ولكنه يجري بوسائل اجتماعية يراد بها اضعاف الرغبة في تذوق المخدرات وخصوصاً بين الشباب . ومما يلاحظ في بلاد الملايو أن عادات الشعب قد تغيرت تغيراً كبيراً عما كانت عليه منذ عشرة أعوام ، ولا سيما بين الطبقات الصينية . ذلك أن الألعاب تستغرق الآن اهتمام الشباب من الجنسين . وقد أنشئت ملاعب كبيرة في المدن والقرى للعب الكرة ، وهي تجذب جماهير كبيرة ، وأنشئت متنزهات عامة في المدن الكبرى يؤمها الصينيون من مختلف الطبقات ، واتخذت اجراءات ووسائل صحية كثيرة ساعدت على ارتفاع المعيار الصحي في البلاد ، وأنشئت مستشفيات عديدة لمعالجة المرضى والمدمنين ، وقد ظهر أثر التيار الرياضي واضحاً في الجيل الحالي ، فهو أقل ميلا إلى الانصراف إلى لذة المخدرات وأكثر شغفاً بوجوه التسلية القائمة على ترويض الجسم والذهن

الكتب

٢ – ثلاث رسائل

بخط ياقوت الحموى الرومى

للأديب الفارسى عباس اقبال

ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام

قياس عبارات معجم البلدان هذه بما خطه ياقوت فى آخر النسخة التى بيد الكاتب نقلاً عن خط ابن فارس ، لا يدع ريبة فى أن هذه النسخة هى عين النسخة التى كتبها ياقوت لنفسه من نسخة ابن فارس

ختمت هذه النسخة من تمام الفصيح ، كما يقول ياقوت فى آخرها ، يوم الأحد سابع ربيع الآخر سنة ٦١٦ فى مرو الشاهجان ، ويصرح ياقوت نفسه فى معجم البلدان أنه كان فى مرو الشاهجان سنة ٦١٦ ، وكان يُفيد من خزائن الكتب النفيسة فى هذه المدينة ، وأنه فى السنة نفسها ترك المدينة خوفاً من التتار وبلغ خوارزم (الجرجانية) بعد قليل . وكذلك يصرّح فى معجم البلدان ومعجم الأدباء أنه كان بخوارزم فى ذى القعدة من هذه السنة . ثم تركها هرباً من التتار أيضاً[1] . ومن هذا يتبين أن ختم هذه النسخة فى ربيع الآخر سنة ٦١٦ وقع قبل فرار ياقوت من مرو الشاهجان بشهرين أو ثلاثة

وأما كتابا الرمّانى فلسوء الحظ سقط أولهما من هذه النسخة كما سقط قسم من أول الكتاب الثانى ، كتاب الحروف كما قلنا آنفاً

بين كتاب تمام الفصيح والقسم الباقى من كتاب الحروف ورقة واحدة بخط ياقوت لا صلة بينها وبين هذين الكتابين . والظاهر أنها خاتمة كتاب الرمانى الذى سقط من نسختنا . وأول هذه الورقة :

« قابلت به نسخة أبى الفتح محمد بن أحمد بن أشرس النيسابورى التى قرأها على أبى محمد عبيد الله بن محمد الكاتب المعروف بابن الجراذى عن ابن الأنبارى ، وعلى أبى محمد يوسف ابن الحسين الزاق فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة . وصححته على اختلاف نضد هذه النسخة ونسخة السماع عن ابن الأنبارى فى تقديم بعض الكلام فى مواضع وتأخيره . وعلقت الحواشى من نسخته . وفرغ من انتساخه بمرو الشاهجان فى عشية الأحد لثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٦١٥ ياقوت بن عبد الله الحموى المولى الرومىّ الأصل ، حامداً لله ومصلياً على سيدنا محمد وآله الطاهرين ومسلّماً تسليما »

ثم يتبع هذا بنقل فصل من كتاب لحن العامة لابن حاتم السجستانى . وقد سطر فى آخر كتاب الحروف للرمانى : « آخر كتاب الحروف . والحمد لله رب العالمين . وصلواته على سيدنا محمد وآله . وفرغت من نقله من خط أبى الحسن عمر بن أبى عمر السجستانى بمرو الشاهجان فى محرم سنة ست عشرة وستمائة . وكتب ياقوت بن عبد الله الحموى حامداً لله على سوابغ نعمه »

***

يتبين مما نقلناه من أوائل وأواخر النسخ التى خطها ياقوت فى هذه المجموعة ، ومن الشواهد التى أوردناها من معجم البلدان ومعجم الأدباء — ا — أن ياقوت صرح فى خمسة مواضع من هذه النسخ بأن هذه المجموعة خط يده وملكه — ب — وأن ياقوت كتبها فى تواريخ رمضان سنة ٦١٥ ، والمحرم سنة ٦١٦ ، وربيع الآخر سنة ٦١٦ — ج — وأنه كتبها فى مرو الشاهجان الحاضرة المشهورة للسلطان أبى الحارث معز الدين سنجر بن ملكشاه السلجوقى التى يقول عنها ياقوت فى معجم البلدان إنه عاش فيها قرير العين مستفيداً من مكاتبها الكثيرة ، وأن حبها تمكن فى قلبه حتى أنساه الأهل والعيال وسائر البلدان ،

---

(١) معجم البلدان فى كلمة « جرجانية » وكلمة « خوارزم » ومعجم الأدباء ج ٦ ص ١٥٥

الاسلام الصحيح

للأستاذ اسعاف النشاشيبي

للأستاذ محمد بك كرد علي

الاســلام الصحيح هو آخر كتاب عني بتأليفه أديب فلسطين السيد اسعاف النشاشيبي على أسلوب طريف في الوضع ، استكثر له من المادة ، راجعاً في استقائها إلى الأمهات المعتبرة في الأكثر ، مستخدماً الخطابيات للتأثير في ذهن السامع وقلبه ، ولكنّ خطابياته مدعومة بالنص المقبول والشاهد والمثل ، وتتخللها أنواع من البلاغات ، وفصح وشوارد من اللغة يحاول الأديب احياءها ، يعرضها على القارئ في خلال كلامه شارحاً لها في أسفل الصفحة

وموضوع هذا التأليف يدور على مسائل : منها أن صاحبه يدعو إلى الأخذ بالقرآن ، ويهيب بفرق الاسلام إلى الالتفاف حول رايته الجامعة ، وتكلم على الوهابية والزيدية وبيّن منشأها وعلى الامامة ، وأثبت من كتب الثقات أن عترة النبي هم أسرته وأن جماعة النبي إعاهم المسلمون كلهم أجمعون ، فليس للنبي قرباء ولا بعداء ، وبرهن على أنه ليس في الاسلام طبقات وان بعضهم أبوا إلا أن يكون المسلمون طبقات كمثل المنادك في الهند «فجماعة تنوقت في طغيانها وإلحادها فألهت من ألهت ، وما هذا (والله) بطغيان ولا ضلال ، لكنه فنون من الجنون . . . وجماعة أنزلت رجالاً من هاشم في غير منزلتهم ، وأعطتهم ما ليس في الدين لهم ، ومشايعتك المرء على باطل إنما هو خذلان ، والتقريظ والتمجيد بغير الصدق وغير الحق زور وبهتان . وقد جاء الاسلام ليحرر فأبى معتاد الاستعباد في الدين والدنيا من قبل إلا استعباده ، وإلا أن يشرك بعبادة ربه عبادته» ، وأفاض في مراد الشريعة من المودة في القربى وتفسير آية التطهير ، وفي الصلاة على النبي ، وفي نشأة نقابة الأشراف ، وفي الحديث والمحدثين وجناية هؤلاء كفعل بعض المفسرين على الدين يوم قالوا : إن من الآيات ما له ظاهر ومنها ما له باطن الى غير ذلك مما نقض فيه صراحاً ما يذهب إليه بعض فرق الاسلام . وأثبت أن نهج البلاغة المنسوب لعلي ابن أبي طالب يحمل كثيراً من الصفحات التي لا يعرفها صاحبه ، وأن في تلقين الأحداث كل ما في هذا الكتاب على أنه صح عمن نسب إليه رضي الله عنه لا يخلو من ضرر على الاحداث ، إلى غير ذلك من المطالب التي حل بها ما رآه أولى بالتقديم والمعالجة لرفع الخلاف من صفوف من كانت قبلتهم واحدة ، ومورده الذي يستقون منه هم فيه شركاء لا تباغض بينهم ، والكتاب مفيد لمن يطالعه مطالعة تدبر وتفكر ؟

محمد كرد علي

وأنها لو لم تقع في أيدي التتار فسيطر عليها الدمار ما فارقها حتى الممات

والحق أن من العجيب أن تنجو هذه المجموعة الصغيرة التي هي من أنفس ذكريات تلك القرون السالفة ، ومن أعز ما ملكه عالم عظيم مثل ياقوت الحموي ، من نيران التتار المستعرة ، وغير الزمان المدمرة ، فها هي الآن بعد سبعة قرون ونصف على مكتبي ذكرى من عظمة المدنية الاسلامية في تلك العصور ، ومذكرة برجل من مفاخر هذه المدنية الوضّاءة : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي

عباس اقبال

باريس ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤
